تحصينات بغداد الشرقية في العصر العثماني

أ.م.د. سعدي إبراهيم الدراجي
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

(**خلاصة البحث**)

يعد سور الجانب الشرقي من أهم المعالم العمرانية البارزة لمدينة بغداد في العصر العباسي، وقد أحاط منطقة دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي نشأ حولها من محلات وأسواق ودور سكنية . وبدأ العمل به في عهد الخليفة المستظهر بالله (487 - 512هـ / 1094 - 1118م) كما تذكر مصادرنا العربية.

إن من البواعث المهمة على إقامة سور بغداد الشرقية هو الفتن والحروب فضلا عن كثرة ما تتعرض إليه المدينة من أضرار بسبب فيضان نهر دجلة، الأمر الذي شجع الخلفاء العباسيين على أحاطتها بسور لتأمينها من الغرق والحصار.

لقد حاول البحث الوقوف على طبيعة بناء السور وأبعاده ومقدار محيطه، وكذلك مساحة المدينة من خلال تقديرات الرحالة الأجانب أو الخرائط التي رسمها بعض المهندسين للمدينة خلال القرن التاسع عشر . كما أحصى البحث عدد الأبراج الكبيرة التي كانت بمثابة القلاع، وأخرى صغيرة لدعم السور وتقويته. وكذلك الوقوف على الخندق وقياساته وفوائده.

وركز البحث على مداخل المدينة وأبوابها الأربعة (باب السلطان وباب الظفرية وباب الطلسم وباب كلواذا)، وكانت هذه الأبواب على عادة المدن الكبيرة تغلق ليلا وتفتح عند مطلع النهار. وقوام تصميم ها أبراج كبيرة تتقدمها قناطر مرفوعة على عقود فخمة مبنية بالآجر، والقناطر بطبيعة الحال تمتد فوق الخندق لتفضي إلى السهول المفتوحة خارج الأسوار.

أما تصميم الأبراج الأربعة فيختلف بعضها عن بعض الآخر فالبابين الوسطاني والطلسم دائريين في حين باب السلطان مصمم على شكل برج قائم الزوايا وبرج كلواذا كان مثمنا . وجميع الأبواب معززة باستحكامات دفاعية كالمزاغل التي يرمى منها بالبنادق وفتحات أخرى كبيرة للمدافع استحدثت في العصر العثماني.

كما تناول البحث قلعة بغداد الداخلية المعروفة بـ (ايج قلعة سي) بوصفها أقدم مثال بني في العراق وبنائها كان على الأرجح في أواخر حكم

الأسرة التركمانية القره قوينلو (دولة الخروف الأسود). خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. وبعد أن خضعت بغداد للسيطرة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني عام 1534م، اتخذها العثمانيون في أول عهدهم مقرا للحكم.

تمهيد:

بعد بناء بغداد المدورة في الجانب الغربي من بغداد سنة 145هـ واستكمال خططها، عزم الخليفة ابو جعفر المنصور أن ينشئ محلة في الجانب الشرقي مفصولة عن مدينته تضم مجموعة من الأبنية لتكون مقراً للمهدي وجيشه القادم من خراسان فسميت بـ (عسكر المهدي). ثم عرف هذا الجانب بـ (الرُصافة). وأول بناء شيد في هذا الموضع هو المسجد الجامع ثم قصر المهدي وحولهما باقي القطائع[١]. وعقد المنصور جسراً فوق نهر دجلة يربط به الجانب الغربي بمحلة الرصافة الجديدة. وقد أتم المهدي بناء الرصافة بعد وفاة والده وتوليه الخلافة بسنة واحدة أي في سنة 159هـ (776م) [٢]."وعمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا، وأجرى لها الماء "[٣] وسرعان ما أمتدت القطائع المختلفة التي أقتطعها المهدي لضباطه والمقربين له حول مركز الرصافة في الناحيتين الشمال الشرقي والجنوب الشرقي حتى أصبحت مع مرور الزمن محلات كبيرة واسعة تزهو بأسواقها وبساتينها ودروبها وسككها ومرافقها العامة. وصارت الرصافة وحدها بقدر مدينة المنصور[٤]. وموضعها على وجه التأكيد جنوب تربة الأمام أبي حنيفة النعمان (ت 150هـ) المعروفة بمقبرة الخيزران. ويبدو إن توسع بغداد الشرقية وأزدهارها بسرعة كان على حساب بغداد المدورة التي اهملت وآلت بمرور الأيام إلى الخراب[٥].

وعلى الأرجح أن سور الرصافة لم يستقم أمره طويلا، بدليل أنه لما قدم المستعين بالله إلى بغداد سنة 251هـ(865م) لم يجد سورً فعالاً في الجانب الشرقي فأضطر إلى بناء سور جديد هناك يحتمي به . ولعل من ألأسباب التي سرعت في اختفاء سور الرصافة هو كونه مبني بالرهص (الطين)، وكانت جميع منشآت الرصافة في هذا العه د مبنية "بالرهص إلا ما يسكنه المهدي وولده"[٦].

ولا شك إن أهم المنشآت التي أقيمت في الجانب الشرقي من بغداد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، هي التحصينات التي شيدها المستعين عندما فر من الجند الأتراك بسامراء بسبب الاضطرابات التي قام بها الجيش التركي عقب مقتل أحد قادتهم الكبار. مما شجع المستعين أن ينحدر على عجل إلى بغداد ليحتمي بأهلها ويستعين بهم في الوقوف بوجه الأتراك. وحال وصوله

أمر بتحصين المدينة لأنه كان يدرك أن الجيش التركي الذي قرر عزله ومبايعة المعتز بالله بالخلافة سوف يتعقبه سريعا الى بغداد.

تمثلت استحكامات المستعين بسور وصفه الطبري (ت310هـ) وحدد أمتداده في الجانبين الشرقي والغربي بقوله : وأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد فتقدم في ذلك فأدير عليها السور من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتى أورده دجلة، ومن دجلة من باب قطي عة أم جعفر حتى أورده قصر حميد بن عبد الحميد، ورتب على كل باب قائدا في جماعة من أصحابه وغيرهم، وأمر بحفر الخنادق حول السورين ...."[٧].

أذن المستعين أمر قائد قواده محمد بن عبد اللله الطاهر ببناء سورين حول المدينة للدفاع عنها، الأول يحيط بالجانب الشرقي ويضم د اخله المحلات الثلاث (الشماسية والرصافة والمخرم). والثاني يحيط ببغداد الغربية وكان يضم داخله المحلات المهمة حول مدينة المنصور [٨]. ويبدو إن السور كان متين البنيان عريضا ومرتفعا ومدعما بعدد من الأبراج مشحونة بالمجانيق والعرادات، فضلا عن الخندق الذي أمر المستع ين بحفره حول السورين . وقد ذكرت مصادرنا شيئا عن أبواب السور الثلاث عشر وأسمائها في أثناء سير المعارك والحصار الذي فرضه الجيش التركي على المدينة . وصفت بأنها محصنة بموانع تعيق تقدم العدو حيث نصبت أمامها ألواح عليها مسامير وأوتاد تسمى (شداخات) وجدت لمنع المهاج مين من الوصول إلى أبواب المدينة [٩]. ولعل صمود أهل بغداد خلف الأسوار وكثرة الموانع وقوة التحصينات التي تفاجئ بها المهاجمون كانت السبب في طول مدة الحصار الذي فرضه جيش سامراء عند محاولته اقتحام المدينة . بيد إن هناك من يعتقد إن سور المستعين كان وقتياً لذلك سرعان ما زال ولم يبق له أثر [١٠]. وأخر يرجح إنه تهدم في فيضان عام 330هـ(942م)[١١]. حيث غرقت بغداد بجانبيها الشرقي والغربي وتهدمت أجزاء كبيرة من المدينة المدورة.

والمعلم الأبرز في بغداد الشرقية صار ما يعرف بدار الخلافة، وتقع جنوب سوق الثلاثاء . وقوامها مجموعة من المنشآت الحكومية والقصور الخاصة بالخلفاء والوزراء ورجال الدولة، أحيطت بسور محكم . وقد أتخذها الخلفاء العباسيون مقرا لحكمهم بعد عودتهم من سامراء سنة (279هـ - 892م). ومن المؤكد إن هذا السور لم يكن مصمما بشكل أساسي لأغراض دفاعية ضد الغزوات الخارجية، بل جدارا ي عزل مشتملات دار الخلافة وقصورها عن المناطق السكنية المجاورة [١٢]. وقد وصف السور بأنه نصف دائري أحاط بقصور الخلفاء والبساتين الملحقة بها كالقصر الحسني وقصر الفردوس وقصر التاج ودار الشجرة والدار المربعة والدار المثمنة ودار الوزارة والدواوين

وغيرها. وكانت هذه ا لمشتملات تشغل مساحة واسعة من الأرض تمتد على ضفة دجلة زهاء كيلو متر واحد . وسورها نصف الدائري يبدأ طرفه الشمالي من ضفة دجلة عند شريعة شارع السموأل ويضم داخله منطقة المربعة الحالية وينتهي بدجلة غير بعيد من جسر الجمهورية اليوم. (المخطط - 1).

وكان لسور دار الخلافة تسعة أبواب تبدأ من الشمال بباب الغربة ثم باب سوق التمر وبقربة باب بدر أو باب الخاصة يليه باب النوبي ثم باب العامة ثم باب النصر ثم باب البستان ثم باب الخاصة الجديد ثم باب المراتب. وكان في دار الخلافة شارع رئيس يمتد من باب الغربة إلى باب المراتب موازياً لنهر دجلة ومكانه اليوم ما يسمى بشارع المستنصر[١٣].

ومن المفيد ذكره نوع آخر من التحصينات التي يلجأ إليها عادة سكان بغداد في أيام الفتن المذهبية والحروب الأهلية، حيث يقوم الناس بتحصين حاراتهم وعزلها عن باقي أقسام المدينة بجدر لها أبواب خوفا من هجوم خصومهم. وصار لكل محلة بابان عامان معقودان بالآجر يسمى كل واحد منهما (العقد). وكلمة (عقد) أصبحت في العصور الأخيرة تطلق على المحلة كلها[١٤].

بغداد الشرقية (سورها وأبوابها):

يعد سور الجانب الشرقي من أهم المعالم العمرانية البارزة لمدينة بغداد في العصر العباسي، وقد أحاط منطقة دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي نشأ حولها من محلات وأسواق ودور سكنية.

بوشر ببناء السور في عهد الخليفة المستظهر بالله (487 - 512هـ / 1094 - 1118م) كما تذكر مصادرنا العربية [١٥]. إذ يصف أبن الجوزي (ت597هـ) يوم البدء بالعمل في الثامن عشر من ربيع الآ خر سنة 488هـ / 1095م، وما رافقه من احتفالات عمت شوارع بغداد وحاراتها وقد شارك بها البغادده على اختلاف طبقاتهم ومهنهم فيقول : خرج الوزير عميد الدولة أبو منصور فخط السور على الحريم وقدره ومعه المساح، وتقدم بجبايات المال الذي يحتاج إليه عقارات الناس ودورهم، وأ ذن للعوام في الفرجة والعمل، وحمل أهل المحال السلاح والأعلام والبوقات والطبول، ومعهم المعاول والسبسلات[١٦] وأنواع الملاهي من الزمور والحكايات والخيالات....".[١٧]

ويبدو إن السور لم يكتمل في هذا العهد حيث أنجز قسما منه والقسم الأخر أنجز في عهد الخليفة المسترشد بالله (512 - 529هـ / 1118 - 1135م) الذي رفض أن يُنفق على بنائه مما جُبي من أموال الناس وأنفق عليه من ماله الخاص، وقد بدأت عمارته باحتفالات كبيرة وذلك يوم السبت في

النصف من صفر (517هـ).[١٨] وأذن للناس بالتفرج عليه والمشاركة في العمل فصار كل أهل محلة يعملون أسبوعا حتى تم بناءوه بالكامل[١٩]، وأصبح يحيط بدار الخلافة وسورها وجميع المحلات التي أنشأت حولها.

وعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة عن سور بغداد وتحصيناتها الدفاعية في كتب السلف، إلا أنه يمكن معرفة أخبار السور العمرانية في خضم الأحداث التاريخية الجسام التي شهدتها المدينة في العصر العباسي، ومنها الحروب والكوارث الطبيعية. إذ جعل ابن الجوزي كثرة ما تتعرض إليه بغداد من أضرار من جراء فيضان نهر دجلة من أهم دوافع بناء السور ولاسيما غرق عام 466هـ[٢٠] الذي أتى في الليل على جميع أحياء المدينة بشكل سيل عظيم صاحبها ريح شديدة فهلك خلق كثير تحت الهدم[٢١].

لقد أصيب السور بأضرار كبيرة بسبب فيضان نهر دجلة سنة 554هـ /1159م، حيث أحاطت المياه بسور المدينة وخندقها فتثلمت منه بعض الثلم عجز الناس عن سدها فتسعة حتى غرقت بغداد وتهدمت معظم محالها وعلى آثر ذلك تقدم الخليفة المقتفي (530 - 555هـ / 1136 - 1160م) بعمل مسناة حول السور، لئلا تؤثر مياه الخندق فيه[٢٢]. ويبدو إن المسناة لم تُكتمل في عهد الخليفة المقتفي بل في عهد الخلفاء الذين أعقبوه في سُدة الخلافة.

إن من البواعث المهمة على إقامة سور بغداد الشرقية هو الفتن والحروب فضلا عن كثرة ما تتعرض إليه المدينة من أضرار بسبب فيضان نهر دجلة، الأمر الذي شجع الخلفاء العباسيين على أحاطتها بسور "فَأَمِنَتْ بَغْدَادُ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحِصَارِ"[٢٣].

ومن الذين اهتموا بعمارة سور بغداد الشرقية هو الخليفة المستنصر بالله (623 – 640هـ / 1226 – 1242م)، وذلك سنة 635هـ على أثر حصار المغول لمدينة أربيل وتخريبها، فبعد أن استفتى الخليفة العلماء فأفتوا له بالجهاد وتعطيل الحج بذلك العام، أمر المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية أن يستعدوا ويستنفروا الناس للدفاع وحمل السلاح والتدريب علية. ثم وزع الخليفة مراكز الدفاع على الأمراء ونصب المجانيق على الأسوار وعمل على أصلاح الخندق وصيانته. أما عن عمارة السور فقد قُسم بين أرباب الدولة، فسلم إلى نواب ديوان الأبنية منه قطعة مما يلي دار المسناة، ثم أوكل العمل إلى ثلاثة من أصحاب السلطة هم صاحب الديوان وصاحب صدر المخزن وحاجب الباب[٢٤].

وفي سنة 812هـ / 1409م أي قبل نهاية العصر الجلائري بعام واحد، أمر السلطان أحمد ابن السلطان اويس في هذا العام بإحكام سور بغداد وأبراجه على اثر خلافات بين الأسرة الجلائرية وحلفائهم من التركمان القره قوينلي.

إصلاحات السور في العصر العثماني:

لم تتضرر أسوار بغداد من جراء العمليات العسكرية التي صاحبت حملة السلطان سليمان القانون في سنة 940هـ / 1534م. لأنه قبيل وصول الجيش العثماني إلى بغداد هرب واليها ألصفوي مع حاشيته بعد أن أدرك عدم استطاعته مواجهة القوات العثمانية التي كانت بقيادة الوزير الأعظم إبراهيم بلشا. وقد دخلها الوزير المذكور بدون قتال بعد أن قام أشراف بغداد بتسليم مفاتيح المدينة إليه حقنا للدماء، وللحيلولة دون وقوع عمليات السلب والنهب في المدينة أمر إبراهيم باشا بغلق أبواب بغداد ومنع دخول الجنود إليها.

إن أول الإصلاحات التي شهدتها أسوار بغداد في ظ ل الدول العثمانية كانت عام 978هـ / 1570م، حيث تفصح الوثائق المحفوظة في ألأرشيف العثماني باستانبول، عن قيام والي بغداد بإرسال إبلاغ إلى الأستانة يذكر فيه تضرر أسوار بغداد من جراء فيضان نهر دجلة وضرورة أصلاحها. ويذكر إن المياه قد أحاطت بالمدينة من كل جوانبها وغمرت خندقها، مما تسبب في تهديم ما يقارب الخمسين ذراعاً موزعة في ثلاثة أماكن من السور. ويؤكد البلاغ بأنه تم تجهيز الجص والآجر لترميمها وسيباشر بالعمل بعد انسحاب المياه بالكامل. وبناءا على هذا البلاغ، أوصى الباب العالي بتهيئة مواد البناء المذكورة والمباشرة فوراً بإصلاحات السور وبشكل محكم . على ان يسجيل ما يصرف من مبالغ في دفتر وحذر الوالي من التبذير والإسراف[٢٥].

وهناك حُكم بالموافقة على بلاغ أخر مشابه للبلاغ الأول مؤرخ عام 980هـ/ 1573م، يؤكد حدوث ثغرات في أسوار بغداد وتهديم أجزاء منه تقدر بستين ذراعا نتيجة لفيضان نهر دجلة، مع حاجة مرقد الإمام أبي حنيفة النعمان إلى الترميم إذ تضرر الوجه الداخلي والخارجي لجدرانه، وقد قدرت التكاليف لإصلاح ما تضرر من السور بخمسة ألاف فلوري، في حين قدر ترميم الضريح بألف فلوري[٢٦].

ويبدو إن أسوار بغداد وقلاعها قد تعرضت إلى أضرار ج سيمة آثر العمليات العسكرية التي صاحبت حملة السلطان مراد الرابع عام 1638م. . يقول المحبي في خلاصة الأثر " كان الشاه عباس حصنها بالعدد والعسكر فأمر السلطان (مراد) بحفر لغم عظيم وضع فيه البارود وأطلقت فيه النار فهدم جانبا عظيما من جدار السور.... حتى صار في ذلك الجانب سهلا مستويا مع سطح الأرض ....[٢٧]. وتخريب جانبا من أسوار بغداد أستدعى من السلطان مراد الإشراف بنفسه على أعادة تحصين المدينة وترميم أسوارها وأبراج قلعها "لتغدو آية للحصار المتميز ومثلا للحصن الحصين"[٢٨] وكان السلطان قد مكث

في بغداد ثلاثة شهور حتى أطم ئن خلالها على جملة من الأمور المهمة منها ترميم أسوار المدينة وعموم مرافقها العسكرية[٢٩].

وشهدت تحصينات بغداد في سنة 1052-1642 إضافات جديدة، فبعد أن تولى بغداد كوجك حسن باشا للمرة الثانية ولاية بغداد قام بأعمال جليلة، إذ لحظ عمارة المدينة وترصين حصونها، فبنى ثلاثة أبراج قرب باب الأعظمية في المحل المسمى (طابية ذي الفقار) قبالة برج العجم فكانت محكمة البناء لتكون سدا منيعا في وجه الأعداء وحارسا للمدينة[٣٠].

كما شهدت أسوار بغداد إصلاحات واسعة على آثر فيضان نهري دجلة والفرات عام 1068هـ - 1657م، وقد صارت بغداد محاط ة بالمياه من جميع جهاتها، فخربت بذلك الأبراج الكبيرة للمدينة وما جاورها من الأبنية المهمة . حتى إن المياه وصلت إلى باب الأعظمية وجرفت (طابية الفتح) الواقعة غرب مقبرة الشيخ عمر السهروردي، وبذلك سعى الوزير محمد باشا الخاصكي إلى إصلاح ما تخرب وبذل ما بوسعه من عمل[٣١].

لقد تعرضت بغداد إلى حصارين متعاقبين قام بهما الإيراني نادر شاه : الأول كان عام 1732م، ولما فشل عاد في السنة الثانية أي في عام 1733م. وكان أحمد باشا والي بغداد آنذاك قد رمم السور وأصلح الخندق والقلعة وأستعد للحصار فلم يستطع نادر شاه من اقتحام أسوار ب غداد فأضطر إلى طلب الصلح[٣٢].

ومن الأخبار القليلة التي تردنا عن سور الجانب الشرقي بعد هذا التاريخ، نستشف أن أصلاحه والعناية به لم تكن من أولويات بعض الحكام في بغداد، ولاسيما في سنوات الرخاء واستتباب الأمن، لهذا لا غرابة أن يصف بعض الرحالة خراب جانبا من أسوا ر المدينة وأبراجها . فالرحالة الفلكي بموشامب (1784م) شاهد أجزاء كبيرة من السور متهدمة [٣٣]. وكانت زيارته في عهد الوالي المشهور سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ / 1779-1802م) الذي عم المدن العراقية بإصلاحاته والعناية بتحصيناتها الدفاعية فرمم أسوار البصرة والحلة والنجف الأشرف والزبير وعمر أسوار الجانب الغربي من بغداد وحفر حولها الخنادق الضرورية [٣٤]. في حين لم يول عناية كبيرة لأسوار الجانب الشرقي لأنها مؤمنة من جهة الغرب ضد هجمات القبائل العربية بنهر دجلة.

أما الصيانة أثناء العصر العثماني فلم تكن بصورة عامة جيدة . فعندما شاهد بكنغهام (1816م) السور لاحظ بان بناؤه مختلف ويحمل من الدلائل ما يبرهن على انه قد تم تشييده وإصلاحه في فترات عديدة متباينة، وان أحسن الأجزاء القائمة فيه هي الأجزاء ألقديمة . كما هو الحال في معظم الأبنية

الإسلامية. ولاحظ اختلاف نوع الآجر المستعمل فـي بناء السور وتباين أبعاده طبقا للعصر الذي شيد فيه[٣٥].

لقد أشاد جونز بتقنيات البناء العباسي في أسوار بغداد وأبراجها، وكانت بعضها نموذج جيد للمباني الآجرية العربية الإسلامية، وباستثناء بعض الثقوب التي أحدثتها المدفعية خلال الحصارات فأنها تبدو ناضرة وطرية كأنما تم الفراغ منها توا. أما أعمال الصيانة والترميم التي ظهرت طارئة على واجهة الأسوار فإنها لا تعدو ان تكون مجرد ترقيعات تعكس أعمال الحكومات غير الكاملة في القرون المتاخرة.

تخطيط مدينة بغداد في العصر العثماني وتحصيناتها الدفاعية:

من الطبيعي ان يعتمد الباحث الذي يروم دراسة تخطيط مدينة بغداد وأسوارها على الخرائط والصور القديمة التي رسمت بريش الرحالة الأجانب، وأولهم الرحالة العثماني نصوح السلاحي الشهير بمطراقي زادة سنة 941هـ / 1534-1535م الذي صاحب السلطان سليم الأول في حملته على الشام ومصر (1516 – 1517م) كما صاحب السلطان سليمان القانوني في معظم حملاته العسكرية ومنها حملته على إيران والعراق . ولعل أهم مؤلفات هذا الرحالة وأعلاها قيمة من الناحية الفنية كتابه الذي س ماه (منازل العراقيين للسلطان سليمان خان) ليكون سجلا مفصلا لوقائع الحملة التي قادها السلطان سليمان القانوني على تبريز عاصمة إيران الصفوية آنذاك، ومنها سلك طريقهُ إلى بغداد مارا بهمدان وخانقين.

ومما زاد في أهمية الرحلة انه صور بريشته عددا من المدن والقصبات والقلاع والأضرحة مما جعلها وثيقة عالية القيمة لا غنى عنها في دراسة العمارة الإسلامية وتخطيط المدن[٣٦].

لقد صور المطراقي مدينة بغداد بجانبيها الشرقي والغربي وربطهما بجسر واحد عائم على عددا من الزوارق . وصور جانب الكرخ قليل العمارة مفتوحا من جميع الجهات لا أسوا ر له. في حين صور الجانب الشرقي كثير العمارة محاطاً بسور، والحقيقة راعا المطراقي الأشكال الهندسية ذات البعدين ولم يراع المنظور جريا على عادة ممن سبقه من أعلام المدارس القديمة . لذلك نراه رسم تفاصيل السور من الداخل وأغفل تفاصيله الخارجية. باستثناء الجانب المطل على دجلة، ويبدو السور في لوحة المطراقي مكينا محكما يتقدمه خندق يأخذ ماؤه من نهر دجلة. (الخارطة - 1)

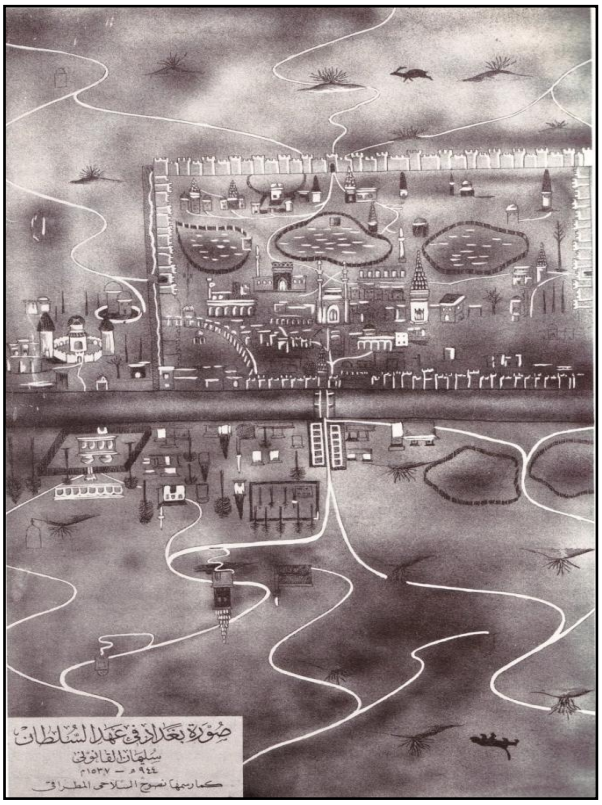

(الخارطة - 1) بغداد كما رسمها المطراقي سنة 1534

وعلى الرغم من إن المطراقي زاده نجح في تعيين معالم مهمة كانت قائمة في مدينة بغداد ووزعها في مواضعها الحقيقية ومنها المساجد والأضرحة الكبيرة والمقابر والبساتين والجسر. إلا انه أخفق في نقل الصورة الحقيقية التي كان عليها السور في عصره . إذ رسم السور منتظم الأبعاد، مستطيل الشكل، معززاً بأبراج عالية جعلها قائمة الزوايا وبقياس واحد، يعلو كل منها شُ رف مسننه والأبراج موزعة على السور بالتساوي . وعين ثلاثة أبواب للمدينة وأغفل الباب الرابع، يتقدم كل منها قنطرة تمتد فوق الخندق. كما رسم بابا أخر اً من جهة النهر يعرف بباب الجسر أو باب الشط (صُو قابي)، وهو المنفذ الوحيد للمدينة على دجلة.

وإذا كانت الصورة التي رسمها المطراقي زاده لا تعكس واقع حال أسوار بغداد الشرقية وتخطيطها كما كانت علي ه في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، فأن رسم الرحالة الفرنسي تافرنيه كان قريبا جدا من الواقع. وكان تافرنيه قد زار بغداد عام 1652م ودون مشاهداته عنها، ووصف سورها بأنه مبني بالأجر تقطعه في بعض النقاط أبراج كبيرة وصفها بأنها كالمتاريس وزعت فوقها مدافع بلغت زهاء ستين مدفعاً . ويكتنف السور خندق عريض عمقه نحو خمس أو ست قامات[٣٧].

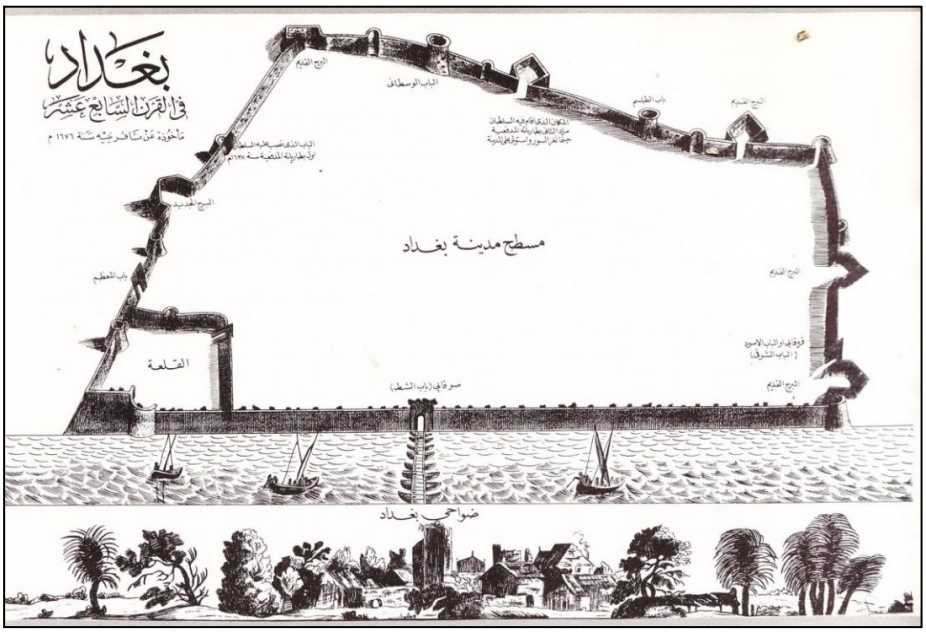

(الخارطة - 2) بغداد كما رسمها تافرنيه 1652

يعد تافرنيه أقدم من نجح في رسم سور المدينة بشكل قريب من الواقع، وأشر عليه تحصينات مهمة. فبعد أن حدد القلعة الداخلية بموقعها الصحيح أشر أبواب المدينة الأربعة، كما أشر باب الشط من جهة النهر . ورسم الأبراج الكبيرة مربعة أو قائمة الزوايا وهي تبدو فخمة بمثابة القلاع تتقدم سمت السور معززة بالمدافع، كما رسم الأبراج الأخرى الصغيرة ومعظمها دائرية، وبينها أبراج مفتوحة من الداخل على شكل حنايا. (الخارطة - 2)

لقد جعل تافرنيه للمدينة سور يحميها من جهة النهر له باب أمام الجسر كما أسلفنا، وهو خلاف الواقع حيث تؤكد مصادرنا على خلو الجانب الغربي من أية تحصينات اللهم باستثناء بعض الأبراج العالية التي بنيت على ضفة النهر للمراقبة. إذ تكفل النهر بحماية الهدينة من الجهة الغربية وهو درءٌ لها في حالات الحرب والحصار، بعد فك الجسور طبعا.

ومهما تكن حجم الملاحظات على رسم تا فرنية فسوف يبقى ذ ا أهمية بالغة بوصفه أول من رسم الحدود الخارجية للمدينة بشكل يكاد يقترب من الواقع وقدر طولها وعرضها ومحيطها.

والحقيقة إن أحسن ما خلص ألينا من الخرائط عن مدينة بغداد وتحصيناتها الدفاعية في القرن الثامن عشر الميلادي تلك التي رسمها الرحالة الدانماركي كارستن نيبور عام 1766م. (الخارطة - 3) وكان انطباع نيبور عن السور بأنه ضعيف ولا يصلح للدفاع ويخلو من تحصينات حقيقية، ومع ذلك فأنه يقر بان بغداد بالنسبة إلى مدن بلاد المشرق تعد قلعة حصينة، وقد زود السور بعشرة أبراج فخمة على كل منها ستة او سبعة مدافع ، وبينها عددا غير قليل من الأبراج الصغيرة التي تستعمل للدفاع بالبنادق فقط . والسور مزود أيضا بأبراج أخرى مجوفة صورها تافرنية في خارطته بأنها أشبه ما تكون بحنايا كبيرة بارزة إلى الخارج. وكانت ذوات طبقتين كما يذكر نيبور إحداهما فوق الأخرى، وكانت بعض المدافع ا لمنتشرة على أبراج المدينة وسورها هاونية[٣٨].

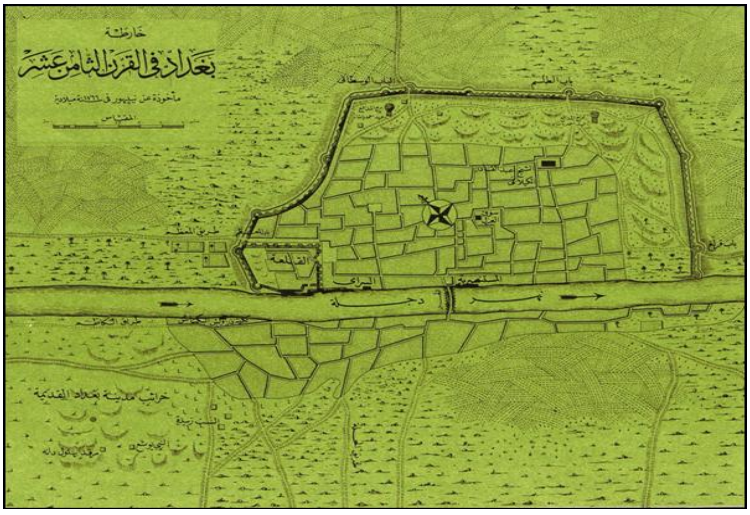

(الخارطة - 3) عن نيبور

لقد حظيت بغداد قبل عام 1846م بضابط بريطاني كفوء ومساح يدعى الكوماندوز جيمس فيلكس جونز[٣٩]. أعد تقريراً مفصلا عن ولاية بغداد رفعه إلى حكومة بومباي في الهند البريطانية تضمن معلومات شاملة لاسيما محلاتها في الجانبين الشرقي والغربي وما يندرج تحت كل محلة من أسماء المساجد والعقود والخانات والمقاهي والأسواق والحمامات، ولدقتها أمست المصدر الوحيد الذي يمكن أن يعول عليه في دراسة خارطة بغداد ومعالمها في القرن التاسع عشر . وتؤكد الخارطة التي رسمها جونز بالاشتراك مع المستر كولينكوود سنة 1853م لمدينة بغداد إنها غير منتظمة وكأنها رسمت حول مجموعات المباني الواسعة كما استقرت أخيرا[٤٠].

وصف السور:

من الطبيعي أن تتب اين التقديرات التي دونها الرحالة الأجانب عن مساحة مدينة بغداد وطول أسوارها، لكونها لا تستند إلى قياسات فعلية . فعلى سبيل المثال لا الحصر قدر تكسيرا (1604م) محيط السور بفرسخا ونصف[٤١]. في حين قدر توماس هربرت (1627م) طول سور بغداد الشرقية بثلاث فراسخ انكليزية[٤٢]. أما تافرنيه (1652م) فقدر طول المدينة نحوا من 1500 خطوة وعرضها 700 أو 800 خطوة، ومحيطها لا يتعدى ثلاثة أميال[٤٣]. وأيضاً قدر الفرنسي بوشامب (1784م) مساحة المدينة المحصورة داخل الأسوار بسبعة أميال، والقيام بجولة حول الأسوار يتطلب ساعة واحدة سيرا على الحصا ن[٤٤]. وقدر جاكسون (1797م) طول أسوارها من حافة النهر زهاء ميلين[٤٥]. في حين يعتقد بورتر (1818م) ان طول أسوار المدينة خمسة أميال[٤٦]. لقد حاول جونز حساب مساحة مدينة بغداد المحصورة بين الأسوار في عصره، بـ (737) أكراً[٤٧]، يمتد الجزء الشرقي لأكثر من (591) أكراً أي (2.391.186م^2). أما القسم الغربي فيمتد لأكثر من (146) اكراً أي (590.761م^2).[٤٨]. وقدر طول سور المدينة الشرقية بـ (10.600) ياردة أي (9688م)، وقدر طول سور المدينة الغربية بـ (5800) ياردة أي (5300م). وبذلك يكون محيط المدينة في الناحيتين الشرقية والغربية يساوي أكثر من تسعة أميال[٤٩]. (الخارطة - 4)

(الخارطة - 4) خارطة فيلكس جونز وكولينكوود

ومهما يكن فإن أدق الأرقام التي يمكن اعتمادها في معرفة طول السور موضوع الدراسة هي تلك التي نقلها المهندسون المحدثون من الخرائط القديمة المرسومة بمقياس رسم معلوم وأصدقها هو ال رقم 9688م، وعرضه 5.50م مع الأبراج وعمق الخندق الذي يحيط به 5.5 م وكان للسور 117برجا[٥٠].

لقد أحصى حاجي خليفة الأبراج في السور وأبعاده، وقدر محيطه بـ 12.200 أو 12.400 ذراع وذكر عدد الأبراج 163 برجا موزعة على المسافات المحصورة بين أبواب المدينة وقسمها كالأتي[٥١].

من النهر إلى باب المعظم يوجد 12 برجا ومسافتها تساوي 700 ذراع.

ومن باب المعظم إلى الباب الوسطاني 34 برجا والمسافة تساوي 2850 ذرعا.

ومن الباب الوسطاني إلى الاستحكامات الإيرانية 26 برجاً ومسافتها تساوي 2050 ذراعا.

ومن الاستحكامات الإيرانية إلى باب الظلمة 36 برجاً ومسافتها تساوي 2850 ذراعاً

ومن باب الظلمة إلى دجلة توجد 4 أبراج ومسافتها تساوي 50 ذراعاً

ومن ضفاف دجلة إلى الجسر يوجد 33 برجا ومسافتها تساوي 2650 ذراعا

ومن الجسر الى اعلى نقطة تقع على النهر يوجد 18 برجا ومسافتها تساوي 1050 ذراعا والمجموع يبلغ 12200 ذراع ومنه 163 برجا.

يرتفع السور 18 قدما عن مستوى الأرض التي خلفه، مدعم بأكتاف أو دعامات قوية ومعها أبراج نصف دائرية موزعة بأبعاد غير متساوية . فضلا عن المزاغل الكثيرة التي يرمى منها عادة بالأسلحة الصغيرة والبنادق . وزيادة في التحصين أحيط أسفل السور من الدا خل بمتاريس سميكة من التراب بلغ ارتفاعها أمتارعدة. وهي على ما يبدو بمثابة تعلية ترابية وجدت لتقوية السور وتسهم في الوقت نفسه بحمايته من أخطار فيضانات نهر دجلة، والتي عادة ما تتدفق المياه نحو الأسوار وتملأ الخندق ثم تضغط على أسوار المدينة من الخارج بشدة(٥٢).

أما الجهة الغربية المطل على دجلة فلم تكن محصنة بسور وخندق كما ه ي الحال في الجهات الأخرى ، حيث تكفل نهر دجلة بحماية المدينة من هذا الجانب. وزيادة في التحصين زود كتف النهر على ما يبدو بأبراج مراقبة كبيرة الحجم حيث يشير الرحالة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف الذي زار العراق عام 1573م إلى تلك التحصينات بقوله "وبغداد محصنة تحصينا جيدا بالأسوار والخنادق، ولاسيما على امتداد نهر دجلة، إذ تقوم بعض أبراج، ومنها برجان يقومان عند الأبواب التي تودي إلى جهة النهر، وفي أعالي هذه الأبراج حفرت كتابات مسطحة بحروف ذهبية يبلغ طول الحرف الواحد منها قدما"(٥٣).

الأبراج:

يتفق نيبور (1766م) مع فيلكس جونز (1855م) على نوع الأبراج الداعمة للسور، وشكلها وعددها. وكانت منها عشرة أبراج كبيرة نصف دائرية، وعشرات أخرى صغيرة وظيفتها دعم جدار السور وتقويته، والأبراج الكبيرة كانت مجوفة مصممة على شكل حجرات قوية قادرة على الصمود ضد القنابل، ومزودة بفتحات تطلق منها نيران المدافع. أما نواصيها المكشوفة فتكون عادة محاطة بدائر أو ستارة متوجة بشرافات لحماية المقاتلين الذين يرابطون بقصد المراقبة والدفاع.

ويذكر نيبور بأنه شاهد على كل من الأبراج العشر ة التي في سور المدينة ستة مدافع أو سبعة إلا أن نصف عددها ليس لها متكآت أو قواعد، وهو يعتقد إن تلك الأبراج صغيرة جداً بالنسبة إلى عدد المدافع . وبين هذه الأبراج بروج صغيرة أخرى، لا يمكن الدفاع عنها إلا بالأسلحة النارية الخفيفة(٥٤).

إن أحسن أنواع البناء القديم الباقي في الأسوار ظل ظاهرا في اثنين من الأبراج الواقعة في الزوايا وعلى مسافة غير بعيدة من باب الوسطاني . فهذان البرجان فخمان جدا مبنيان بالآجر الأصفر مثل باقي أجزاء السور وقد شاهد

بنكغهام (1816م) على بعض هذه الأبراج كتابات على شكل أشرطة عريضة مكتوبة بالخط العربي، وكان كل واحدٍ منهما بمثابة قلعة [٥٥]. ولا شك إن احد هذه الأبراج هو ما يعرف بطابية الفتح أو البرج القديم ويقع في الركن الشمالي الشرقي من سور المدينة وبالتحديد غرب مقبرة الشيخ عمر وقد عمرها محمد باشا الخاصكي بعد أن خربها الفيضان عام 1657م[٥٦] كما أسلفنا. ولعل البرج الأخر الذي قصده نيبور هو ما يعرف ببرج باب الطلسم وعليه كتابات ويقع جنوب الباب الوسطاني. وهناك تابية أخرى كبيرة مشهورة تقع جنوب مقبرة الغزالي في باب الشيخ. وقد بقيت آثار هذه الأبراج الكبيرة تشاهد حتى مطلع القرن العشرين على شكل تلول مرتفعة من الانقاض[٥٧].

وأحيانا تعزز الاستحكامات الدفاعية بأبراج أضافية تبنى أمام الأسوار، بوصفها نقاط دفاع متقدمة معززة بمدافع تتناسب مع حجمها . فعندما اقتربت قوات السلطان مراد الرابع من بغداد عام 1638م، قامت الحامية الصفوية بالمدينة بتسوية الأرض الكائنة على طول الجبهة الواقعة أمام الأسوار وبعمق 800 ياردة لتكون خالية من جميع العوائق وينكشف العدو المهاجم فيها وأمامه أبراج على شكل قلاع متقدمة[٥٨]. وهناك أبراج جديدة أضيفت إلى تحصينات بغداد بعد عودة العثمانيين إليها للمرة الثانية، إذ أضاف والي بغداد كوجك حسن باشا في سنة 1052ه-- 1642م. ثلاثة أبراج قرب باب الأعظمية في المحل المسمى (طابية ذي الفقار) قبالة برج العجم وكانت محكمة البناء [٥٩].وقد وصفت تحصينات بغداد من قبل بعض الرحالة في منتصف القرن الثامن عشر بأنها محاطة بأسوار تتخللها أبراج وحوله تسع متاريس في كل واحد عدد من المدافع النحاسية يتراوح بين 6 - 8 مدافع مختلفة الأحجام[٦٠].

وعلى الرغم من إن المدينة كانت محصنة بالأسوار من جهة البر فقط، إلا أن بعض المؤرخين ذهب إلى أنها محصنة بـ 97 برجا كانت قائمة على دجلة ومعها 114برجا تدعم أسوارها من جهة البر فيكون مجموعها 211 برجا . بين كل بر جين خمسون مزغلاً والمسافة بين كل ثقبٍ وأخر خطوة واحدة[٦١]. ولا شك إن عدد الأبراج على جهة النهر في هذه الرواية مبالغ فيه كثيرا.

وقد أقيمت على الأبراج الكبيرة والقلعة الداخلية بطاريات جهزت بالمدافع البرنزية ذات عيارات متباينة وعددها يختلف من حقبة إلى أخرى، وهي موجهة نحو محيط المدينة وبعضها موجهة نحو الداخل. والحقيقة توافرت لقلعة بغداد أنواع جيدة من المدافع، أصطحبها جيش السلطان مراد الرابع معه سنة 1638م، وقد وصفت هذه المدافع بأنها فريدة ولم يكن لها مثيل اللهم إلا في استانبول والبحر المتوسط وحصون مضيق البسفور و قلعة رادوس . وكان

بعضها من طراز "بال ييمز" ذي الكفاءة العالية وضعت في طابيتي حسن باشا وذو الفقار باشا. وأنواع أخرى وزعت على الباب الوسطاني وباب البصلية، والقلعة الداخلية وبرج العجم ومقر القيادات(٦٢).

الخندق:

عادةٍ يبدأ العمل بحفر الخندق قبل بناء السور وليس ب عد انجازه كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين (٦٣)، وذلك للاستفادة من ترابه المستخرج في صناعة اللبن والآجر. لأننا نعلم بان قطع اللبن يكون عادة قريبا من مواضع البناء لأغراض اقتصادية بحته، منها تسريع العمل وزيادة الإنتاج وتقليل تكاليف النقل، وكذلك الأفران الخاصة بشي الآجر لن تكون في كل الأحوال بعيدة عن السور.

مثلما أختلف المؤرخون والرحالة في قياسات السور وعدد أبراجه، اختلفوا أيضا في وصفهم للخندق. فمنهم من بالغ في أبعاده وقدر عرضه بستين ذراعا(٦٤). ومنهم من قدر ارتفاعه من قاعه إلى نهاية السور بأربعين قدماً (٦٥). وآخر قدر عمقه بثمانية عشر قدما، وقد تم حفره بشكل مجرد، ولم يجري تغليفه بالبناء(٦٦). لهذا كانت جوانبه وأكتافه في أثناء العصر العثماني تزرع من قبل الفلاحين بالخضروات . إذ يذكر الرحالة الهندي ميرزا أبو طالب خان (1799م) أن بغداد الشرقية والغربية محصنتان بأسوار تحيط بهما خنادق واسعة وعميقة تتخذ مزارع في أيام السلم ولكنها وعند حلول اقل خطر تملء ماءا من نهر دجلة بسهولة(٦٧).وزراعة الخندق ظلت قائمة إلى أن ردمه ناظم باشا والي بغداد في حدود 1912م(٦٨).حيث زالت معالم ه وحلت محله السدة القديمة(٦٩).ومن الملاحظ إن زراعته كانت تعطى بالالتزام فتستفيد منه الحكومة رسوم الأعشار فضلا عن بدل الإيجار(٧٠).

ويبدو إن محاولات ردم الخندق كانت قد بدأت قبل عهد ناظم باشا كما تؤكد أحدى الوثاقق العثمانية التي هي عبارة عن برقية مرسلة من ولاية بغداد إلى حضرة الصدر الأعظم مؤرخة في غرة شعبان 1325هـ الموافق 9 أيلول 1907م، والبرقية تفصح عن المباشرة بطمر الخندق الذي يحيط بمدينة بغداد من جهاتها الثلاثة والمستنقعات التي حدثت في الأراضي الواقعة بينة وبين المدينة من جراء فيضانات نهر دجلة، وتأثير ذلك على الصحة العامة . حيث أصبحت المستنق عات المذكورة مصدرا لكثير من الأمراض في السنوات الأخيرة. وقد أشارت الوثيقة إلى جسامة العمليات التي يقتضيها ووجوب نقل التراب من الخارج . ومع ذلك تمت المباشرة بالردم تزامناً مع عيد جلوس السلطان(٧١).

أذن الخندق يأخذ ماءهُ من نهر دجلة ويكون مملوءاً بالماء معظم أي ام السنة، ولاسيما في فصلي الشتاء والربيع حيث يرتفع منسوب المياه في النهر، أما في الصيف فمن الطبيعي أن تقل المياه في الخندق بسبب انخفاض مستواها في نهر دجلة. وقد شاهده بكنغهام (1816م) وهو خال من المياه [٧٢]. وقد كان الخندق طيلة القرن التاسع عشر مطوقا بسدود قوية من الخارج على شكل حزام خوفا من فيضان نهر دجلة الذي أغرق المدينة مرات عديدة[٧٣].

وبصورة عامة منذ القرن التاسع عشر أخذت أسوار المدن تفقد هيبتها ووظيفتها الأساسية بسبب تطور صناعة الأسلحة النارية ولاسيما المدفعية، فقلت العناية بها تدريجيا حتى أهملت فألت جوانب منها إلى السقوط ثم أزيلت كلياً. لذلك ليس غريبا أن نقرأ في كتب بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا بغداد في النصف الأول من القرن التاسع عشر بان أسوارها كانت مهملة وتوشك أن تنقض. ليس هذا فقط بل كانت بعض الأماكن قد قلع الآجر منها بشكل منتظم[٧٤].

ومن الشائع إن أول من أمر بإزالة أسوار بغداد هو الوالي مدحت باشا (1869- 1872م)، بيد إن المرحوم عباس العزاوي ذكر إن أول من باشر بهدم السور والي بغداد محمد رشيد باشا الكوزلكي (1852 – 1857م) ثم توالى الهدم وزاد في أيام مدحت حتى لم يبق له عين ولا اثر، وكان غالبا من يبني داراً يشتري من أهل المقالع آجره ليضعه في أساس بنائه حتى زال كليةً[٧٥]. ويذكر شاهد عيان من سكان بغداد إن أساسات السور بقيت ظاهرة في بعض المحال حتى أوائل القرن العشرين[٧٦].

أذن مدحت باشا هو الذي أزال السور كليا، لاعتقاده بعدم فائدته وقلة جدوى صموده أمام الأسلحة الحديثة، فقرر الاستفادة من آجره في بناء بعض المنشآت داخل مدينة بغداد، ومنها مدرسة الصنائع الواقعة قرب القصر العباسي، وأنجز إضافات في القشلة وبرج ساعتها الذي وجد لإيقاظ الجند [٧٧]، فضلا عن الاستفادة من ثمنه.

وبصورة عامة أصبحت مدن العراق خلال فترة الاحتلال الع ثماني مراكز صغيرة الحجم أكثر أجزائها خربة , والسبب يعزى إلى تدهور الوضع السياسي وما رافقه من حروب وأوبئة وفيضانات, وقياسا إلى مدينة بغداد , فلم تكن مسكونة في القرن السابع عشر بما يتناسب وسعتها [٧٨]. وقد شاهد تكسيرا (1604م) بين أسوار المدينة وبيوتها فسح وبساتين وتلول كبيرة على الرغم من إن الأرض مستوية، ومصدر هذه التلول هي الخرائب القديمة المهدمة [٧٩]. ويذكر نيبور الذي زارها بعد تكسيرا بحوالي قرن ونصف من الزمان بأن القسم الأعظم من المدينة مهدم وغير مسكون عدا المنطقة القريبة من سراى الباشا ,

حيث تكثر الأسواق المهمة بالمدينة [٨٠]. ومع ذلك فان المدينة ظلت تحتفظ بوصفها واحدة من أهم مراكز التجارة في هذا الجزء من قارة اسيا ، وكأعظم مدينة على حدود الإمبراطورية التركية تجاه بلاد فارس . وتحصينات بغداد ضعيفة كما يبدو ذلك. وفي البلاد التي يندر فيها جلب المدفعية إلى الميدان، تعد مثل هذه التحصينات كافية لمقاومة الفرس، والوهابيين بنجاح[٨١].

أبواب السور:

من المعروف إن لسور بغداد أربعة أبواب هي : باب السلطان وباب الظفرية وباب الطلسم وباب كلواذا، وكانت هذه الأبواب على عادة المدن الكبيرة تغلق ليلا وتفتح عند مطلع النهار [٨٢]. على كل باب مجموعة من الحراس لا يسمحون للغرباء الدخول إلى المدينة إلى بأذن . ووظيفة هؤلاء الحراس تفتيش البضائع الداخلة والخارجة منها. وفرض الرسوم الكمركية على البضائع المجلوبة من قبل التجار . لذلك في العادة تواجد أفراد من رجال الكمارك بجانب الحراس أثناء الزهار.

وقوام تصميم الأبواب الأربعة أبراج كبيرة تتقدمها قناطر مرفوعة على عقود فخمة مبنية بالآجر، والقناطر بطبيعة الحال تمتد فوق الخندق لتفضي إلى السهول المفتوحة خارج الأسوار، وقد وصفت القناطر بأنها قوية يعود تاريخها إلى فترة بناء السور، لكن ترميماتها المنجزة في العصر العثماني كانت رديئة[٨٣].

أما تصميم الأبراج الأربعة فيختلف بعضها عن بعض الآخر فالبابين الوسطاني والطلسم دائريين في حين باب السلطان مصمم على شكل برج قائم الزوايا وبرج كلواذا كان مثمنا . وجميع الأبواب معززة باستحكامات دفاعية كالمزاغل التي يرمى منها بالبنادق وفتحات أخرى كبيرة للمدافع استحدثت في العصر العثماني.

1ـ **باب السلطان**: (**الصورة** - 1)

ويقع في الناحية الشمالية من المدينة ويسمى باب السلطان نسبة إلى طغرل بك، أو الشماسية، كما يعرف بباب المعظم بوصفه يتجه صوب مرقد الأمام أبو حنيفة النعمان الملقب بالإمام الأعظم. وموضعه بالقرب من قلعة بغداد الداخلية التي كانت تشغل الركن الشمالي الغربي من سور المدينة، وتمثل وزارة الدفاع القديمة المطلة على نهر دجلة. وقد ظل هذا الباب قائما ح تى سنة 1923م حيث هدمته الحكومة العراقية (٨٤). بمسوغ توسيع الشوارع في تلك المنطقة لتتلاءم مع حركة السيارات.

لقد ظل هذا الباب لقرون عدة من أهم أبواب المدينة وأكثرها حركة، لأنه كان يربط بين قرية الأعظمية الواقعة شمال الأسوار وبين أكثر أجزاء المدينة حيوية من حيث النشاط التجاري وكثافة السكان. وعلى مقربة منه قصر الباشا والأسواق الكبيرة وساحة الميدان (٨٥). والأرض الممتدة خارج أسوار المدينة من الجهتين الشمالية والشرقية تبدو على مدى الرؤيا مستوية خالية من البناء، تتنتعش فيها الحركة عادة أثناء النهار، لاسيما عند ظهور ا لجند وكتائب الفرسان على الطرق المؤدية إلى أبواب المدينة.

وللأسف لم تصلنا عن باب السلطان معلومات أو صور كثير ة تفصح عن طبيعة تخطيطه وعمارته بدقة، باستثناء بعض الصور الملتقطة أثناء دخول في أول أيام الاحتلال البريطاني لبغداد عام 1917م. والباب يبدو في هذه الصور القليلة أنه كان على شكل برج كبير قائم الزوايا يتكون من طابقين لا يقل ارتفاعه عن ثمانية أمتار . وهو مبني بالآجر و له مدخلان يقعان على محور واحد ، قوام كل منهما فتحة كبيرة متوجة بعقد مدبب . وقد وصف الطابق الأرضي بأنه مسقف بقبو نصف دائري طويل يرتكز على أربعة عقو د(٨٦). والوصول إلى الطابق العلوي يكون عن طريق درج مبني بالآجر يقع على يسار الداخل إلى المدينة. ومن الملاحظ إن البرج له طابق علوي مصمم على شكل منظرة مفتوحة على الخارج بنوافذ موزعة في كل الاتجاهات، ومحمية من أشعة الشمس والمطر بمظلات خشب ، والنوافذ وجدت أصلا للمراقبة والرصد، حيث يجلس في العادة ثلة من الجند في الأعلى لمراقبة ما يجري خارج أسوار المدينة وداخلها، لاسيما وان هذا الباب له أهمية خاصة بوص فة قريب من القلعة الداخلية، ويشهد حركة نشطة في النهار لأنه يقود إلى الميدان الرئيسي والأسواق.

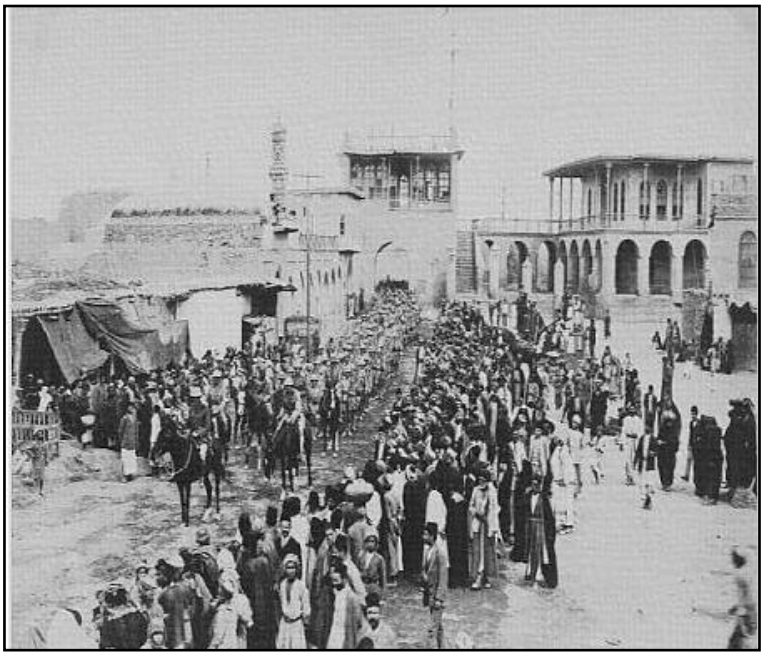

(الصورة - 1) باب السلطان أثناء دخول الجنرال مود إلى بغداد عام 1917م

2ـ **باب الظفرية**: (**الصورة** - 2)

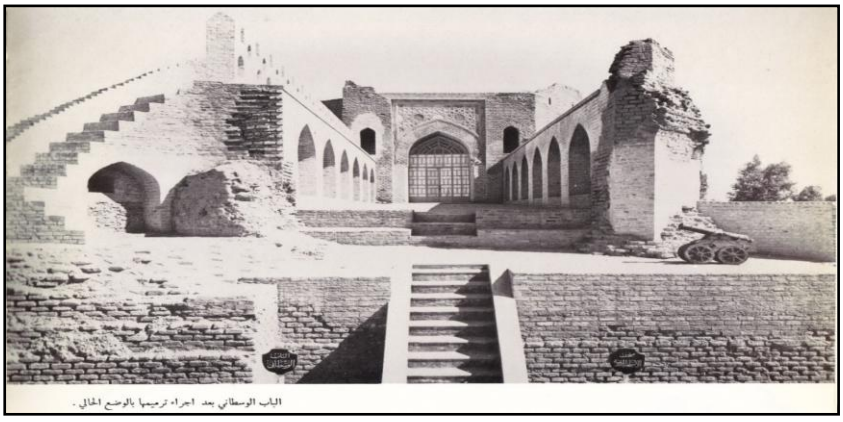

(الصورة - 2) باب الظفرية

وقد سمي بهذا الاسم لكونه يقع قبالة محلة الظفرية المنسوبة إلى ظفر أحد مماليك الخلفاء العباسيين . ويعرف أحيانا بباب خراسان، وقد سمي في العصر العثماني بـ "آق قابو" أي الباب الأبيض [٨٧]، ألا إن أشهر أسمائه التي مازال يعرف بها هي الباب الوسطاني . ويقع بالقرب من مقبرة ا لوردية المعروفة اليوم بمقبرة الشيخ عمر نسبة لدفينها الشيخ الجليل شهاب الدين عمر السهروردي (ت 623هـ) وقد علت قبره قبة مخروطة بنيت على الطراز السلجوقي.

والراجح إن بانيه هو الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575 – 622هـ / 1180 – 1225م) وذلك استناداً إلى فحوى ال دعاء الوارد في الكتابة التي وجدت في أعلى البرج . ونصها : "ولا زالت دعوته الهادية للدين قواما، وللإسلام نظاما، ولدولته القاهرة سكينة وللأمة اعتصاما، ولمدينة السلام بابا.... وأنوارا...." والكتابة هنا تشبه أسلوب الكتابة التي تؤرخ لبناء باب الطلسم.

ويعد الباب الوسطاني من بين أبرز المعالم العباسية في مدينة بغداد، إذ مازال في حالة جيدة من الحفظ. بفضل عناية دائرة الآثار والتراث فيه، وكانت الدائرة المذكورة قد اتخذته متحفا للأسلحة الحربية بعد أن أخضعته إلى صيانة شاملة عام 1938م.

وقوام الباب برج دائري بطابق واحد قطر ه يربو على 14م متوج بشرافات مصممة على شكل كتل مستطيلة ذات نهايات مسننة زينة ستارة

البرج من الأعلى، وهناك تحت الشرافات صف من المزاغل موزعة على محيط الستارة يمكن الدفاع منها بالبنادق.

لقد قسم البرج من الداخل إلى ثمانية أواوين صغيرة مسقفة بأقبية مدببة، تنفتح على فضاء مثمن بعقود . وقد أريد بالأواوين أن تكون بمثابة حجرات مفتوحة من جانب واحد يقيم ها الحراس الذين يشرفون على أدارة هذا الباب ويراقبون الدخول والخروج منه، وينتشر فيها المدافعون وقت الحرب حيث زودت بمزاغل موزعة على محيط البرج بدقة وانتظام، فجعل في كل إيوان مزغلان للسيطرة على الخارج ورصد جميع النقاط الواقعة في محيط المدينة من الجهة الشرقية.

(الصورة ـ 4) مخطط الباب الوسطاني وصورته في العصر العثماني

وبعد أن تجمعت الاواوين الثمانية داخل البرج تشكل أمامها فضاء مثمن صار بمثابة الصحن، وقد سقف هذا الفضاء بقبيبة صغيرة نصف كروية معقودة بالآجر. وأنارتها تعتمد على المزاغل المصممة من الداخل على شكل حنايا كبيرة متوجة بعقود واسعة من الداخل ومن الخارج تضيق لتصبح فتحات شاقولية لا يزيد أبعاد الواحدة منها على (20×50سم).

ومن الطبيعي أن يكون للبرج مدخلان : الأول ينفتح على القنطرة المعقودة على الخندق بعقد مدبب تعلوه زخارف هندسية منحوته من قطع الآجر قوامها أطباق نجمية بسيطة مرتبة على النمط العباسي، وهي تشبه مثيلاتها التي مازالت تزين واجهات بعض الأبنية في بغداد مثل المدرسة المستنصرية والقصر العباسي. أما المدخل الثاني فهو كالأول يشغل أحد الاواوين وتصميمه لا يختلف عن الأول كثيرا وهو يواجه البر الفسيح الممتد حول المدينة . وأمامه أيضاً قنطرة طويلة تمتد بموازاة الخندق وملتصقة بحافته الخارجية(الصورة-4)

إن أهم ظ اهرة ميزت الباب الوسطاني عن غير ه من الأبواب هو انكسار مدخليه، بمعنى إن مدخليه لا يقعان على محور واحد فيضطر الداخل إلى المدينة عبر هذا الباب أن ينحرف إلى جهة اليمين، وفي هذا فوائد دفاعية يضطر فيها الغزاة بعد اقتحامهم إلى الانحراف للعبور من المدخل الثاني فتتعرض جوانبهم للسهام الموجهة إليهم من قبل المدافعين [٨٨]. كما ان المداخل المنحنية لها فوائد أخرى، بوصفها مخفيه لا تواجه المهاجمين بصورة مباشرة، وانحرافها لا يسمح للجيش المهاجم النيل منها بواسطة النيران التي ترمى من خلف الخنادق. فضلا عن الفوائد المناخية والصحية.

وزيادة في تحصين هذا الباب تم حماية جانبي القنطرة التي توصل بين ضفتي الخندق والمتصلة بسور المدينة، بجدار مزود بوسائل دفاعية منها مجموعة كبيرة من المزاغل وزعت بشكل صفوف، وفوقها الشرافات.

3- **باب الحلبة أو باب الطلسم**: (**الصورة** - 5)

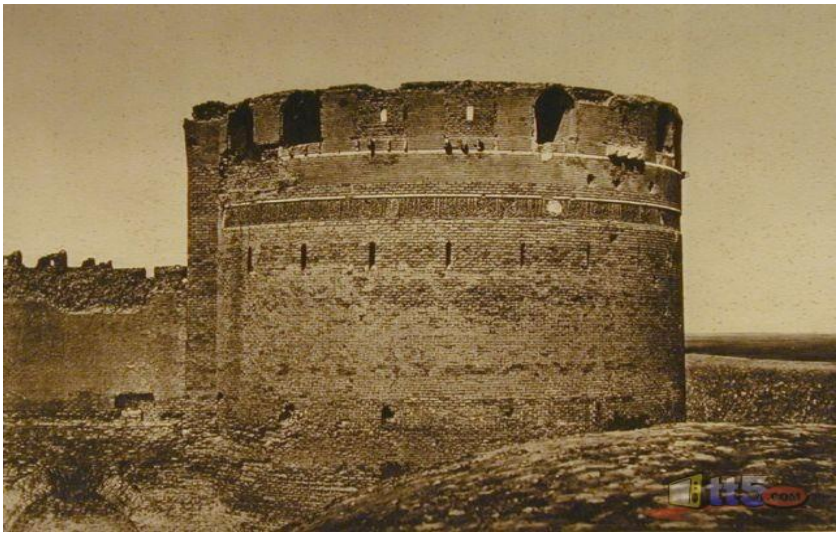

(الصورة - 5) باب الحلبة

سمي بهذا الاسم لقربه من ميدان السباق الذي كان في هذا الموضع قبل أنشاء السور. ثم عُرف في العهود الأخيرة بباب الطلسم لوجود بعض الرسوم والطلاسم عليه. كما عرف ببرج الفتح على آثر دخول السلطان مراد الرابع منه فاتحاً سنة 1048هـ / 1638م، وقد أمر السلطان مراد بعد دخوله أن يُسد هذا الباب بجدار ولا يدخل منه أحدً من بعده [٨٩].وقد اتخذه الأتراك في السنوات الأخيرة من حكمهم مخزنا للبارود، ثم أوقدوا النار فيه فنسفوه يوم انسحابهم من بغداد ليلة الحادي عشر من آذار سنة 1917م[٩٠].

أما عن تاريخ البناء فلا شك إن البرج مبني مع باقي أجزاء السور في عهد المسترشد بالله، بيد إن الخليفة الناصر لدين الله قد جدده سنة 618هـ / 1221م، إذ تشير الكتابات التي كانت مدونة على واجهته الخارجية إلى هذا التاريخ ونصها "بسم الله الرحمن الرحيم (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) . أمر بعمارته سيدنا ومولانا

الأمام المفترض الطاعة (على) كافة الأنام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين وحجة الله عز وجل على الخلق أجمعين، صلوات الله وسلامه على آله الطاهرين، ولا زالت دعوة المدعي (كذا) على أتباع الحق منازلة (كذا مناراً). والخلائق لها أتباعاً وأنصاراً، وط اعته المفترضة للمؤمنين أسماعاً وأبصاراً، وافق الفراغ منه سنة ثمان عشرة وستمائة وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين". (٩١)

ومن الواضح إن باب الطلسم يشبه في تصميمه الباب الوسطاني، وقوامه برج فخم دائري الشكل، معزز بصف من المزاغل الشاقولية وزعت على محيطه بأبعاد متساوية. ويبدو إنه خضع في العصر العثماني إلى صيانة شاملة وشهد بعض الإضافات التي استوجبتها الأسلحة الحديثة. فجددت ستارته واستحدثت فيها فتحات كبيرة لوضع المدافع المستقرة على ناصيته(٩٢). علما إن تافرنيه (1652م) كان قد قدر عدد المدافع على أسوار بغداد بستين مدفعا(٩٣).

لقد زين المدخل الرئيس للبرج بمنحوتة آجريه نادرة، تحمل دلالات رمزية لعلها مستوحاة من ثقافات شرقية قديمة وتنتمي لعقائد ذات أصول وثنية. اعتمدت طلاسم معينة تسهم في حراسة أبواب المدينة من الأعداء، أو على الأقل تساعد على طرد الأرواح الشر يرة وتحمي المدينة من كيد السحرة والحساد. وقوام موضوع الصورة شخص جالس متربعا على الأرض وعلى كل من يمينه ويساره حيوان خرافي على شكل تينين. وصاحب الصورة يمسك في يديه بلسانهما. وقد صور الفنان التيرنهان على شكل ثعبان كبير ملتوٍ له رأس تمساح بقرنين ويدين وجناح.

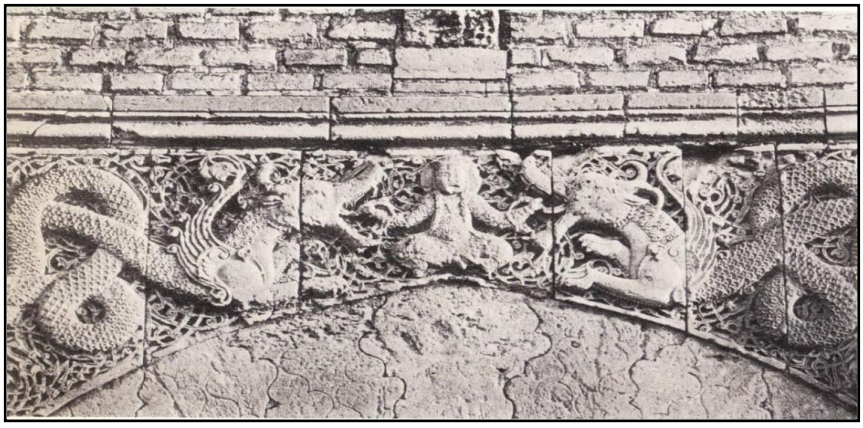

(الصورة - 6) الزخارف الآجرية على باب الطلسم

ولا شك إن الرسم لا ينتمي إلى المدرسة العراقية في التصوير لان الشخص الذي صوره الفنان في هذا المشهد ذات سحنة أسيوية ويرتدي زياً مزركشا ما زال مستخدما حتى اليوم في البلاد الباردة في أسيا الوسطى وغربها وهو ما يعرف ببلاد المغرب العربي بالبرنص أو الربنوص، وهذا الزي يرتبط به عادة غطاء واسع للرأس. (الصورة - 6)

وكما هي الحال في الأعمال الآجرية العباسية ألمنحوتة فالمشهد هنا منفذ على مهاد من الزخارف النباتية ومعضمها أغصان ملتوية ومتشابكة تخرج منها أوراق ثلاثية ومراوح نخيلية ومعها أشكال حلزونية.

لقد صورت السائحة الفرنسية مدام ديولافوا عام 1881م هذا الباب بكامرتها، ودونت خلاصة ما نقش عليه من كتابات، ثم قارنت ألاستحكامات التي رأتها في أسوار بغداد وأبراجها بالاستحكامات التي أقامها الفرنسيون في العصور الوسطى وأكدت الشبه الكبير بينهما ولاسيما في طراز البناء والأبواب والأقبية التي تعلو الحجرات وكذلك التشابه أمتد إلى الخندق والمزاغل التي تستعمل للمراقبة والرمي(٩٤).

4ـ **باب البصلية أو باب كلواذا**: (**الصورة** – 7)

(الصورة ـ 7) باب كلواذا في العصر العثماني

(الصورة ـ 8) باب كلواذا بعد تحويله الى كنيسة

عرف أثناء العصر العباسي بباب البصلية بوصفة يقع في محلة البصلية التي أنشأها الخليفة المقتدي [٩٥]، كما عرف بباب كلواذا لان الطريق الذي يخرج منه يؤدي إلى قرية كلواذا الواقعة قرب الكرادة الحالية . وأطلق عليه في العهد العثماني (قارولغ قابي) أي الباب المظلم . وأصبح في عهد مدحت باشا (1869 - 1872م) جزءاً من البنايات التابعة لمصنع الدباغة (للدباغخانه)، إذ استعمل مضجع للجنود التابعين إلى سرية الدباغة المنسوبة إلى فوج الاعمالات[٩٦]. وفي عهد الاحتلال البريطاني أتخذه الانكليز كنيسة لهم سميت بكنيسة "سنت جورج"، وقد نقضت أمانة بغداد هذا الباب عام 1937م ويقع ضمن ما يعرف اليوم بساحة التحرير.

والحقيقة لم يصلنا عن باب كلواذا إلا النزر اليسير من المعلومات والصور، وبرجه مثمن يختلف عن باقي أبواب المدينة في الشكل . مزود من الأعلى بفتحات كبيرة مخصصة للمدافع وأخر ى صغيرة على شكل مزاغل يرمى منها بالبنادق. أما الأبواب التي يولج منها الخارج والداخل إلى المدينة فهي تشبه الأبواب المفتوحة في الأبراج الثلاثة الأخرى السالفة الذكر.

لقد تعرض هذا الباب إلى عمليات ترميم وصيانة شاملة وشهد معها إضافات كثير ة استحدثت أثناء تحويله من قبل الانكليز إلى كنيسة فتغيرت معالمه حتى أصبح لا يمت إلى الأصل بصلة. (الصورة - 8)

القلعة الداخلية:

شاع في العصر العثماني نوع من القلاع تقام عادة داخل المدن الكبيرة يطلق عليها الأتراك (ايج قلعة) أي القلعة الداخلية والهدف من أقامتها حماية الحكام والمسؤولين وأتباعهم وجندهم من الأخطار الخارجية، فضلا عن استخدامها وسيلة مهمة للقضاء على الفتن والاضطرابات التي قد تحصل داخل المدينة. حيث تعد القلاع داخل المدن العراقية من أهم مرافقها البنائية , وأكثرها حيوية, بوصفها أحدى المؤسسات المهمة التي تجمع الوالي وأتباعه , كما أنها تمثل الصفة العسكرية البحتة التي تتصف بها السلطة الحاكمة في المدينة . لذلك هي تحتل مواضع متميزة فتبنى على روابي أو تقام على ضفاف الأنهار لتسهيل مهمة اتصالها بالخارج وتامين خطوط دفاعاتها وقت الخطر، وتشحن بالجند والمؤن والسلاح والذخيرة وتزود بمخبز ومسجد ومحل لإقامة الوالي وأحيانا تضم سجنا ومخازن للبارود فضلا عن قاعات الجند . وقد اقتصر وجود هذا النوع من القلاع في العراق على المدن الكبيرة مثل بغداد والموصل والحلة.

تعد قلعة بغداد الداخلية المعروفة بـ (ايج قلعة سي) أقدم مثال بني في العراق وبنائها كان على الأرجح في أواخر حكم الأسرة التركمانية القره قوينلو (دولة الخروف الأسود). خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي . وبعد أن خضعت بغداد للسيطرة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني عام 1534م، اتخذها العثمانيون في أول عهدهم مقرا للحكم. كما اتخذها والي بغداد بكتاشي خان (1631 - 1638م) مقرا له وذلك في عهد السيطرة الصفوية وبجانبها انشأ السراي[٩٧]. الذي صار مقرا للولاة الذين تعاقبوا على أدارة بغداد طيلة العصر العثماني. وأول من ترك السكن في القلع ة الداخلية وأقام بالسراي من الولاة العثمانين هو كوجك حسن باشا الذي عينة السلطان مراد للمرة الثانية (1052 - 1054هـ/1642 - 1644م) واليا على بغداد ووضع تحت أمرته 8000 نفر من أتباعه، فشغل القصر الذي كان "بكتاش خان" قد شيده لنفسه في السراي[٩٨]. وقد أسهب في وصف ه ذا القصر الايطالي فنشنسو عام 1656م، بعد أن سنحت له فرصة التجوال في داخله بحرية. وذكر انه كان مزين بنقوش عربية مرسومة بعناية فائقة وسقوفه مزينة بالفسيفساء . وشبه ديوان الوالي بقاعات قصور النبلاء في البندقية، إذ كانت جدرانه موشاة بخزف مطلي دقيق الصنعة. أما الأرضية فيزعم إنها كانت مفروشة بطنافس منسوجة بالحرير والذهب[٩٩].

والقلعة تشغل مساحة كبيرة من ركن المدينة الكائن في الزاوية الشمالية الغربية من سور بغداد المطل على الضفة الشرقية لنهر دجلة، في مكان وزارة

الدفاع القديمة [١٠٠]. يحدها سور المدينة من الشمال وسور آخر مستقل من الجهات الثلاث مزودة بعدد من الأبراج. وصفت عام 1580م بأنها حديثة البناء تقوم في وسط ميدان واسع، يقيم فيها الباشا مع حامية من السباهية (الخيالة النظامية) والانكشارية[١٠١].

ظهرت القلعة لأول مره على خارطة بغداد المرسومة من قبل المطراقي زاده سنة 941هـ -1534م وقد حدد موضعها الطبيعي على شاطئ دجلة داخل أسوار المدينة حيث تشغل رقعة كبيرة في أقصى الزاوية الشمالية الغربية كما أسلفنا . يحدها من الشمال سور بغداد ومن الغرب نهر دجلة، ويفصلها عن دور المدينة سور خاص رسمه المطراقي منحنيا، وصوره على انه منخفض واقل ضخامة من السور الخارجي[١٠٢].

ولما كانت صورة القلعة تخفي واجهة السور الخارجية وتَظهر فقط واجهته الداخلية فمن الطبيعي لا نستطيع رؤية الأبراج الداعمة له من الخارج والتي رسمها الكثير الرحالة الذين زاروا بغداد في فترات لاحقة . ومهما يكن فسور القلعة مزود بحنايا ساندة كبيرة بلغ عددها عشرة والحنايا متوجة بعقود منخفضة، وتعلو السور شرافات مسننة كبيرة الحجم عالية يربو عددها على (16) شرافة.

ولا توجد في القلعة غير مدخل واحد يقع في الجهة الشمالية القريبة من باب المعظم، وقوامه فتحة متوجة بعقد داخل حنية كبيرة، تتقدمه كنه على شكل حجرة مربعة محاطة من الأعلى بصف من الشرافات، وتعلو المدخل قبة نصف كروية زرقاء اللون صورها على انها مزججة ببلاطات من القاشاني الازرق . وللقبة رقبة مزودة بنوافذ للإضاءة والتهوية.

وللقلعة صحن واسع خال من المنشآت باستثناء ضريح يقوم على مسطبة مدرجة مبنية بثلاثة م ستويات . والضريح على شكل حجرة دائرية تعلوها قبة نصف كروية زرقاء تجلس مباشرة على الجدران، والقاعدة الدائرية محاطة بفتحات عد ة شاقولية متوجة بعقود لعلها ابواب تفتح على الجهات المختلفة . ومن الجدير بالذكر إن الأضرحة في داخل القلعة كانت قائمة وقد أشرها فيلكس جونز في خارطته. وذكرها عبد الحميد عبادة ....

وتوجد في القلعة من جهة النهر حسب رسم المطراقي مجموعة منشآت مكملة تقوم بوظيفة السور قوامها أبنية مسقفة بقباب عالية وفي طرفها برج مربع الشكل وجد للدفاع والمراقبة مبني على طريقة المآذن يتكون من ثلاث طبقات الأولى فخمة م رتفعة بارتفاع سور المدينة، محفوفة بشرفة لها دائر يحمي من السقوط. أما الطبقة الثانية فهي ذات قطاع مربع أيضا لكنها صغيرة الحجم وقليلة الارتفاع وقد تراجعت عن الطبقة الأولى في البناء . كما تراجعت

الطبقة الثالثة كثيرا لتحمل فوقها قبيبة صغيرة تبدو مزججة خضراء اللون. والبرج مزود بفتحات بعضها مداخل تؤدي إلى الشرفات وبعضها الأخر نوافذ وجدت للإضاءة والتهوية فضلا عن المزاغل التي تعتمد في المراقبة والقتال.

وإذا كانت القلعة الداخلية لم تعجب راوولف الذي شاهدها عام 1573م وذكر بأنها غير محصنة وناقصة البناء من الداخل [١٠٣]. فان الرحالة الايطالي غاسبارو بالبي الذي قدم إلى بغداد عام 1580م سجل إعجابه بها وذكر بأنها حديثة البناء وجميلة جدا، أمامها ساحة فسيحة جداً . يقيم في القلعة الباشا حاكم المدينة، وله فيها عساكر كثيرة من السباهية (الخيالة النظامية) والأنكشارية وغيرهم"[١٠٤]

ولم تتغير القلعة في القرن السابع عشر الميلادي، وقد وصفها تكسيرا 1604م بعد أن حدد موضعها من المدينة وكان الباشا يقيم فيها ومعه حاشيته وجنده وعددهم داخل القلعة يتراوح بين (1500 - 2000) شخص. علما إن عدد القوات التابعة لباشا بغداد في هذا الوقت تقدر بنحو أربعة عشر ألف إلى خمسة عشر الف رجل من الخيالة والمشاة، ومعظمهم يقيمون بثكنات خارج المدينة. ويبدو ان تكسير قد شاهد القلعة عن كثب فقدر محيطها الأجمالي بـ 1500 خطوة، وعمق خندقها ثمانية أذرع، وعرضه اثني عشر ذراعاً . ومع ذلك فانه لم يسهب في وصف تحصيناتها الدفاعية واكتفى بالإشارة إلى الفتحات في أعلى الأسوار التي توجد فيها المدافع.[١٠٥]

ومن البدهي أن يأتي ذكر القلعة الداخلية أثناء الحصار والحروب، وهي على الدوام هدفا للجيوش المتحاربة، فبعد انتصار السلطان مراد الرابع على الصفويين في بغداد عام 1638م، قامت ثلة من الجيش المهزوم بالاعتصام في القلعة الداخلية ومعاودة القتال على أمل تحقيق بعض الانتصارات، لكنهم سرعان ما يأسوا فقاموا بتفجير مخازن البارود فيها، مما أدى إلى هلاك أعداد كبيرة من الجند وتهديم أبنية كانت قائمة في داخلها[١٠٦].

لقد رسم تافرنية القلعة الداخلية مع سور المدينة عام 1652م وقدر حاميتها بثلاثمائة انكشاري يرأسهم أغا . (الخارطة - 2) ووصف سورها بأنه مدعم بأبراج صغيرة تحمل فوقها مدافع بلغ عددها نحو مائه وخمسين مدفعا . وحول القلعة خندق ضيق لا يتجاوز عمقه القامتين أو الثلاث. وأمام بابها جسر يمتد فوق الخندق[١٠٧]. أما بارسونز (1775م) الذي أبدى إعجابه بسعة القلعة وتحصيناتها، فقد وجد فيها على ما يذكر ثلاثة ألاف مقاتل، وأربعون مدفعا من البرونز منصوبة فوق أسوارها التي يربو ارتفاعها على 13 قدم. كما قدر عرض الخندق الذي يتقدم أسوارها بـ35 قدم وعمقه 13قدم[١٠٨].

وفي عام 1765م نجح نيبور في رسم أ سوار بغداد وتحصيناتها في الجهة الشرقية . ومنها القلعة الداخلية التي كانت تستخدم أثناء زيارته دارا للصناعة ومستودعا للبارود والذخيرة. يقيم فيها الجنود الينكجرية وكان عددهم

في بغداد لا يقل عن عشرة ألاف جندي [١٠٩]. وسورها مدعم بعدد من الأبراج الاسطوانية بعضها كبير قائم في الأركان وبعضها الآخر صغير موزع على طول السور من كافة الجهات[١١٠]. ويصف أوليا جلبي القلعة بأنها مشيدة بالحجر والآجر، يحيط بها خندق، ولها مدخلان احدهما يؤدي إلى البلدة يواجه القبلة بشكل مكشوف وآخر كان قد تسلل منه بكر الصوباشي فأغلق بعد ذلك . كما يوجد في القلعة مخازن لحفظ العتاد والأرزاق وحمام يسمى باسم حسين باشا الشاطر، ومساكن بسيطة بنيت بالطين يتوسطها مسجد عرف بمسجد مراد خان[١١١].

(الصورة - 9) جانب من سور القلعة أمام ساحة الميدان

إن أفضل ما خلص ألينا عن القلعة وسورها , صورة رسمت بريشة مدام ديولافوا سنة 1881م[١١٢], تبدو فيها الواجهة الشرقية للقلعة التي تفتح على ميدان كبير أعد ليكون ساحة للتدريب الجند والرياضة الصباحية

والاستعراضات العسكرية وتنفيذ عقوبات الإعدام فضلا عن الفعاليات الأخرى، حيث تعرض فيه الخيول للبيع، ويزدحم كل يوم بالناس للاستمتاع بشرب القهوة والتدخين في المقاهي المحيطة به. (الصورة - 9)

ولا شك إن الصورة تمثل جانبا من تحصينات القلعة وعناصرها التي يعول عليها في الدفاع ومنها السور والأبراج والمدخل والشرافات والمزاغل والسقاطات. فهي تبدو مبنية بالآجر والجص وسورها مرتفع جدا ومدعم بأبراج بعضها مربعة وأخرى اسطوانية، والأبراج متوجة بشرافات دائرية ومزودة بمزاغل شاقولية تستعمل للرمي بالبنادق، وفوق نواصيها فتحات كبيرة خاصة بالمدافع.

ان الحركة الدؤوبة التي صورتها الفنانة للجند أمام مدخل القلعة توحي بحجم القوة العسكرية الكبيرة المرابطة في داخلها . ومدخل القلعة مفتوح وسط كتلة فخمة من البناء ترتفع فوق الأسوار لعلها مصممة على شكل إيوان ينفتح على الداخل بعقد كبير، كما هي الحال في مداخل المدن والقلاع المبنية في العصر العثماني وقبله . والمدخل متوج بعقد منخفض محمي من الأعلى بسقاطات وهو أمر طبيعي بوصفة إحدى النقاط ا لمستهدفة وقت الهجوم، والسقاطات مصممة على شكل فتحات تستعمل لصب السوائل الساخنة على الأعداء إذا ما اقتربوا من الباب.

تضم القلعة في داخلها منشآت عدة، معظمها مؤشر في خارطة فيلكس جونز، من أهمها البارود خانة وهي بناية كبيرة كانت ملاصقة للسور تشغل الزاوية الجنوبية الغربية، ثم الإسطبلات الخاصة بإيواء خيول العسكر وكانت ملاصقة لسور القلعة من الجهة الشرقية. الا ان اكبر البنايات داخل القلعة كانت تخص المدفعية (الطوبخانه) بضمنها مقرات ووحدات المدفعية وأسلحتها، ومخازن كبيرة للمدفعية . ويفهم من خريطة (بغداد شهري) الذي وضعه ا الرائدالركن المرحوم رشيد خوجة عام 1908م كانت في القلعة الداخلية ورشة لتصليح الأسلحة تدعى (أسلحة تعمير خانه سي)[١١٣]. وفي القلعة سجن مخصص للمحكومين عليهم من الأهالي أكثر من ثماني سنوات وكانوا يزاولون مهنة خياطة (العبي)[١١٤]. وفي صحن القلعة بعض القبور . فضلا عن المسجد السالف الذكر وساحات للتدريب والرياضة والألعاب.

الهوامش:

(1) اليعقوبي،أحمد بن اسحاق (ت 292) البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422، ص44.

(2) ابن الفقيه احمد بن محمد (ت 365هـ)، البلدان، تحقيق يوسف هادي، عالم الكتب، بيروت، 1416- 1996، ص279، 290.

(3) الخطيب البغدادي، (ت463هـ) تاريخ بغداد، م 1، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1422- 2002، ص393.

(4) مصطفى جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة الكتاب، بغداد، 2010، ص106.

(5) شريف يوسف، تاريخ فن العمارة في مختلف العصور، دار ال رشيد للطباعة، بغداد، 1982، ص287.

(6) أبن الجوزي (ت 597)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام ، بغداد، 1342هـ، ص18

(7) الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، ج5، ص372.

(8) مصطفى جواد واحمد سوسة، المرجع السابق، ص119

(9) عبد العزيز حميد، سور المستعين حول مدينة بغداد، ندوة العلوم العسكرية عند العرب، مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، 1989م، ص37.

(10) مصطفى جواد وآخرون، بغداد عرض تاريخي مصور، نقابة المهندسين العراقية، بغداد، 1968م، ص49.

(11) أحمد سوسة، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، م10، 1382هـ/ 1962م، ص14.

(12) عبد العزيز حميد صالح، التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية، من البحوث المنشورة في كتاب الجيش والسلاح، ج3، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1408- 1988، ص368.

(13) شرف يوسف، المرجع السابق، ص275

(14) مصطفى جواد وآخرون، المرجع السابق، ص52.

(15) يقول ابن الأثير (ت630هـ) في حوادث سنة 488هـ. "في ربيع الآخر، شرع الخليفة في عمل سور على الحريم، وأذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة في التفرج والعمل، فزينوا البلد، وعملوا القباب، وجدوا في عمارته. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ - 1997م، م8، ص396.

(16) وردت في مناقب بغداد لابن الجوزي، السلال وأراد بها السلات جمع سلة.

(17) إبن الجوزي (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج 17، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ - 1992 م، ص16.

(18) المصدر نفسه، ج17، ص219. إبن الجوزي، مناقب بغداد ، ص17.

(19) مصطفى جواد وآخرون، المرجع السابق، ص51.

(20) [1] - ابن الجوزي ، مناقب بغداد، ص17

(21) ابن الأثير، المصدر السابق، م8، ص403

(22) أبن الجوزي، مناقب بغداد، ص18.

(23) ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، البداية والنهاية، ج 13، تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408، هـ - 1988م، ص22.
(24) ابن الفوطي كمال الدين ابو الفضل (723هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بغداد، 1351، ص20.
(25) فاضل بيات، بغداد من خلال أرشيف الوثائق العثماني، إع داد فاضل بيات، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 2008م، وثيقة رقم – 5، ص26.
(26) المصدر نفسه، وثيقة رقم – 6، ص28.
(27) المحبي، محمد أمين بن فضل الله (111هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج4، مكتبة خياط، بيروت، (د.ت)، ص338.
(28) أوليا جلبي، بغداد في رحلتي أوليا جلبي (1645م و1652م)، ترجمة صبحي ناظم توفيق، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الأجانب، منشورات بيت الحكمة، 2013م، ص391.
(29) المصدر نفسه، ص279.
(30) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج 5، الدار العربية للموسوعات، بغداد ، د.ت، ص30.
(31) المرجع نفسه، م5، ص75.
(32) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، مطبعة التفيض الأهلية، ط4، بغداد، 1360هـ-1941م، ص189 وما بعدها.
(33) بوشامب، جوزيف، بغداد في رحلة جوزيف دي بوشامب سنة (1782)، ترجمة خالد عبد اللطيف، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب ، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، بيروت 2013م، ص423.
(34) الكركوكلي، رسول، (ت1217هـ) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله عن التركية موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ص219.
(35) بنكغهام، جمس، رحلة بكنغهام إلى العراق، ج 1، ترجمة سليم طه التك ريتي ، مطبعة اسعد، بغداد، 1968، ص191.
(36) عماد عبد السلام رؤوف، العراق كما رسمه المطراقي زادة سنة 941هـ/ 1534م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 2015م، ص 14.
(37) تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنيه، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1944م، ص86.
(38) نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، منشور ضمن كتاب رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، دار الوراق، بغداد ــ بيروت ، 2012، ص 221.
(39) جيمس فيلكس جونز : كان قائدا للسفينة الحربية "نايتوكريس" قبل ع ام 1846م تلك السفينة التي كانت تسير بين البصرة وبغداد وترابط أمام المقيمية البريطانية في بغداد على الدوام. وهو في الوقت نفسه قائدا في الأسطول الهندي ومساح في بلاد بين النهرين.
(40) جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيميس فيلكس جونز، بغداد في منتصف القرن التاسع عشر ، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار مكتبة عدنان، بغداد، 1914، ص32

(41) تيكسيرا، بغداد في رحلة بيتر تيكسيرا (1604م)، ترجمة أنيس عبد الخالق، منشور ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، بيروت 2013م، ص141.

(42) توماس هربرت، بغداد في رحلة توماس هربرت 1627م، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، 2013م، ص186.

(43) تافرنيه، المصدر السابق، ص86.

(44) بوشامب، جوزيف، المصدر السابق، ص423.

(45) جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1797، تعريب سليم طه التكريتي، بغداد، د.ت، ص72.

(46) علاء كاظم نورس، بغداد في رحلات الأجانب في العهد العثماني، المورد، العدد 3، 1976، ص19.

(47) الايكر(Acre): وحدة من وحدات قياس المساحة وهو أنكلو أمريكي، ويساوي 4046م^2 تقريباً.

(48) جيمس فيلكس جونز، المصدر السابق، ص32

(49) المصدر نفسه، ص36

(50) شريف يوسف، المرجع السابق، ص377.

(51) سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الأخيرة، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة ، بغداد، 1373هـ - 1954م، ص15.

(52) جيمس فيلكس جونز، المصدر السابق، ص35.

(53) راوولف، ليونهارت، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسط ين، ترجمة طه سليم التكريتي، بغداد 1978م، ص172.

(54) نيبور، بغداد في رحلة نيبور، ترجمة مصطفى جواد، ضمن رحلة نيبور الكاملة، دار الوراق، بيروت ـ بغداد، 2012م، ص155- 156.

(55) بكنغهام، المصدر السابق، ص192

(56) عباس العزاوي، المرجع السابق. م5، ص75.

(57) محمد رؤوف الشيخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج 1، مطبعة البصرة، البصرة، 1392- 1972، ص58.

(58) لوريمر،ج ، ج، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج 4، إعداد قسم الترجمة بمكتب ديوان أمير قطر، د. ت، ص1763.

(59) عباس العزاوي، المرجع السابق، ج5، ص30.

(60) لوريمر، المصدر السابق، ص 1802.

(61) سعاد هادي العمري، المرجع السابق، ص10.

(62) اوليا جلبي، المصدر السابق، ص.294

(63) عبد العزيز حميد، التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية، الجيش والسلاح ، ج 5، ص371

(64) أوليا جلبي، المصدر السابق، ص301.

(65) لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1802.

(66) بكنغهام، المصدر السابق، 193.

ولستيد, جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا, ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الثويني، بغداد ، 1984م. ص 64.

(67) ابي طالب خان، رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا سنة 1213 -1799، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، 1970، ص367.
(68) المصدر نفسه، هامش 2 ص67
(69) المنشئ البغدادي، المصدر السابق، ص31، هامش4.
(70) محمد رؤوف الشيخلي، المرجع السابق، ج1، ص55.
(71) فاضل بيات، المصدر السابق، وثيقة رقم – 22، ص62.
(72) بكنغهام ، المصدر السابق، ص 193
(73) جيمس فيلكس جونز، المصدر السابق، ص35
(74) وليستد، المصدر السابق، ص67
(75) المنشئ البغدادي، المصدر السابق، ص31، هامش4.
(76) محمد رؤوف الشيخلي، المرجع السابق، ج1، ص55.
(77) شريف يوسف، المرجع السابق، ص377
(78) تافرنيه, المصدر السابق، ص86.
(79) تيكسيرا، المصدر السابق، ص149.
(80) نيبور, رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر, ص29.
(81) وليستد، المصدر السابق، ص64
(82) تافرنيه، المصدر السابق، ص76
(83) جيمس فيلكس جونز، المصدر السابق، ص359
(84) أحمد سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الأول، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ص304.
(85) بكنغهام، المصدر السابق، ص191
(86) محمد رؤوف الشيخلي، المرجع السابق، ج1، ص55.
(87) أوليا جلبي، المصدر السابق، ص292.
(88) طاهر مظفر العميد، بغداد مدينة المنصور المدورة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1967، ص221.
(89) المنشئ البغدادي، المصدر السابق، ص28.
(90) مصطفى جواد وآخرون، المرجع السابق، ص50.
(91) رحلة نيبور، بغداد في رحلة نيبور، ص155، هامش (1).
(92) من المعروف إن استخدام العثمانيين للمدافع بدأ على نطاق واسع منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي. وكان عدد المدفعيين (الطوبجية) يختلف من ولاية إلى أخرى وقد بلغ عددهم في بغداد عام 1647م 67 رجلا . ثم ارتفع إلى 219 في عام 1685م. وفي العام نفسه كان عددهم في البصرة 182، وفي كركوك 50 طوبجي. ومن أهم أنواع المدافع التي كانت مستخدمة هي : الزنبرك وشاهي وهارون وأشهرها يسمى باليمز . أو بال يمز وهو من اضخم المدافع التي استخدمها العثمانيون خلال القرن 17م من حيث العيار، لذلك فقد أقتصر استخدامه لدك الحصون والقلاع ودخل في الخدمة ل دى القوات البرية والبحرية.
صالح محمد العابد، و خليل علي مراد، القوات المسلحة بالعراق 1534 – 1831، ضمن كتاب الجيش والسلاح، ج5، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1988، ص258.
(93) تافرنية، المصدر السابق، ص86.

(94) مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة – العراق سنة 1881م - 1299هـ، نقلها إلى العربية عن الفارسية علي البصري، مطبعة أسعد، بغداد، 1377هـ - 1958م، ص67.
(95) أحمد سوسه، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الأول، ص308.
(96) محمد رؤوف الشيخلي، المرجع السابق، ج1، ص69.
(97) نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب ، النجف، 1971م، ص233.
(98) أوليا جلبي، المصدر السابق، ص293.
(99) فنشنسو، رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بطرس حداد، المورد، م3، العدد3 ، 1976م، ص71-89.
(100) اعتماد يوسف القصيري، قلاع بغداد، سومر، م45، 1987-1988م، ص204.
(101) بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2005م، ص73.
(102) عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق، ، ص25.
(103) راوولف، المصدر السابق، ص174.
(104) بالبي، المصدر السابق ، ص63.
(105) تيكسيرا، المصدر السابق، ص141- 142.
(106) اوليا جلبي، المصدر السابق، ص290.
(107) تافرنية، المصدر السابق، ص79.
(108) Parsons,A,Travals in Asia and Africa, London,1808 ,PP, 124-125.
(109) رحلة نيبور، بغداد في رحلة نيبور، ص204.
(110) نيبور، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ص31.
(111) أوليا جلبي، المصدر السابق، ص 306.عرف بمسجد القلعة، ولازال قائما داخل وزارة الدفاع، وقد هدم وأعيد بناءه سنة 1377هـ (1957م) كما يشير اللوح المثبت على قاعدة مئذنته. ويعتقد أوليا جلبي بأنه مبني من قبل السلطان سليمان القانوني. وتاريخ بناؤه على الأرجح في أول القرن 11هـ / 17م، استنادا إلى الوقفية ا لمؤرخة في 14 رمضان 1048هـ / 1638وبموجبها حبس المالك جلال الدين بن بهاء الدين ثلاثة أرباع خان الكتان ومباني أخرى عديدة على مسجد القلعة الواقع في محلة السكة خانة (دار الضرب) داخل قلعة بغداد الداخلية.
- أنظر : محمد سعيد الراوي، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوا مع بغداد، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، دار الكتب العلمية، بغداد 2013، ص61.
-سعدي إبراهيم الدراجي ، خانات بغداد في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، بغداد، 2013م، ص90.
(112) مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كندة – العراق سنة 1881م – 1296هـ، نقله الى العربية علي البصري، دار منشورات البصري، بغداد (13787- 1958)، ص136.
(113) ياسين عبد الكريم، تاريخ الثكنات والمقرات العسكرية في العراق بين 1831- 1914م، بحث ضمن كتاب الجيش والسلاح، ج5، مطبعة دار الحرية، بغداد، 1988، ص326.
(114) (عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة، الدار العربية للموسوعات، ط2، بيروت، 1420هـ – 1999م، ص128-129.

المصادر:

1. Parsons,A,Travals in Asia and Africa, London,1808 .
2. ابن الأثير (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،م 8، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ - 1997م.
3. أبن الجوزي (ت 597)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام ، بغداد، 1342هـ.
4. إبن الجوزي (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج 17، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ - 1992.
5. ابن الفقيه احمد بن محمد (ت 365هـ)، البلدان، تحقيق يوسف هادي، عالم الك تب، بيروت، 1416- 1996.
6. ابن الفوطي كمال الدين ابو الفضل (723هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بغداد، 1351هـ.
7. ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، البداية والنهاية، ج 13، تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408، هـ - 1988
8. ابي طالب خان، رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا سنة 1213 -1799، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، 1970.
9. أحمد سوسة، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، م10، 1382هـ/ 1962م.
10. أحمد سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الأول، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1965.
11. الخطيب البغدادي، (ت463هـ) تاريخ بغداد، م 1، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1422- 2002.
12. الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ج 5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ.
13. الكركوكلي، رسول، (ت1217هـ) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله عن التركية موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
14. المحبي، محمد أمين بن فضل الله (111هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج4، مكتبة خياط، بيروت، (د.ت).
15. اليعقوبي،أحمد بن اسحاق (ت 292) البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
16. أوليا جلبي، بغداد في رحلتي أوليا جلبي (1645م و1652م)، ترجمة صبحي ناظم توفيق، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الأجانب، منشورات بيت الحكمة، 2013.
17. بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2005م.
18. بنكغهام، جمس، رحلة بكنغهام إلى العراق، ج1، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة اسعد، بغداد، 1968.
19. بوشامب، جوزيف، بغداد في رحلة جوزيف دي بوشامب سنة (1782)، ترجمة خالد عبد اللطيف، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، بيروت 2013م.
20. تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنيه، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1944م.

21. - توماس هربرت، بغداد في رحلة توماس هربرت 1627م، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، 2013.
22. تيكسيرا، بغداد في رحلة بيتر تيكسيرا (1604م)، ترجمة أنيس عبد الخالق، منشور ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، بيروت 2013.
23. جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1797، تعريب سليم طه التكريتي، بغداد، د.ت.
24. جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيميس فيلكس جونز، بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار مكتبة عدنان، بغداد، 1914.
25. راوولف، ليونهارت، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة طه سليم التكريتي، بغداد 1978.
26. سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الأخيرة، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة ، بغداد، 1373هـ - 1954م.
27. سعدي إبراهيم الدراجي ، خانات بغداد في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، بغداد، 2013.
28. شريف يوسف، تاريخ فن العما رة في مختلف العصور، دار الرشيد للطباعة، بغداد، 1982.
29. صالح محمد العابد، و خليل علي مراد، القوات المسلحة بالعراق 1534 – 1831، ضمن كتاب الجيش والسلاح، ج5، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1988.
30. طاهر مظفر العميد، بغداد مدينة المنصور المدورة، مطبعة النعمان، النجف الأ شرف، 1967.
31. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج 5، الدار العربية للموسوعات، بغداد ، د.ت.
32. عبد العزيز حميد صالح، التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية، من البحوث المنشورة في كتاب الجيش والسلاح، ج3، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1408- 1988.
33. عبد العزيز حميد، سور المستعين حول مدينة بغداد، ندوة العلوم العسكرية عند العرب، مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، 1989.
34. عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة، الدار العربية للموسوعات، ط 2، بيروت، 1420هـ ـ 1999م.
35. علاء كاظم نورس، بغداد في رحلات الأجانب في العهد العثماني، المورد، العدد 3، 1976.
36. عماد عبد السلام رؤوف، العراق كما رسمه المطراقي زادة سنة 941هـ / 1534م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 2015م.
37. فاضل بيات، بغداد من خلال أرشيف الوثائق العثماني، إعداد فاضل بيات، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 2008م، وثيقة رقم – 5.
38. فنشنسو، رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بطرس حداد، المورد، م3، العدد3 ، 1976م.
39. لوريمر،ج ، ج،دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج4،إعداد قسم الترجمة بمكتب ديوان أمير قطر،د. ت.

40. لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تر جمة جعفر خياط، مطبعة التفيض الأهلية، ط4، بغداد، 1360هـ -1941م.
41. محمد رؤوف الشيخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج1، مطبعة البصرة، البصرة، 1392- 1972.
42. محمد سعيد الراوي، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، دار الكتب العلمية، بغداد 2013.
43. مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة – العراق سنة 1881م - 1299هـ، نقلها إلى العربية عن الفارسية علي البصري، مطبعة أسعد، بغداد، 1377هـ - 1958م.
44. مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كندة – العراق سنة 1881م – 1296هـ، نقله الى العربية علي البصري، دار منشورات البصري، بغداد 1378- 1958.
45. - مصطفى جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة الكتاب، بغداد، 2010.
46. مصطفى جواد وآخرون، بغداد عرض تاريخي مصور، نقابة المهندسين العراقية، بغداد، 1968م.
47. نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب ، النجف، 1971م.
48. نيبور، بغداد في رحلة نيبور، ترجمة مصطفى جواد، ضمن رحلة نيبور الكاملة، دار الوراق، بيروت ـ بغداد، 2012م.
49. نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة مح مود حسين الأمين، منشور ضمن كتاب رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، دار الوراق، بغداد ـ بيروت ، 2012.
50. ولستيد , جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا , ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الثويني، بغداد ، 1984م.
51. ياسين عبد الكريم، تاريخ الثكنات والمقرا ت العسكرية في العراق بين 1831- 1914م، بحث ضمن كتاب الجيش والسلاح، ج5، مطبعة دار الحرية، بغداد، 1988.

Fortifications of Eastern Baghdad through Ottoman era

Phd. Saady I. Al- Daragy
Center of revival of Arabian science heritage
Baghdad university

(Abstract)

The wall of Eastern side considers one of the important prominence architect sign of Baghdad city through Abbasid era , it is surrounded by many shops, houses , the work had started in the period of caliph(Al-Mustathher Billah)

The reason behind building wall of Eastern Baghdad was wars , in addition to what the city had exposed floods of Tigris that is the matter which encouraged Abbasid caliph's to surround it by wall to save from floods and embargo .

This research tried to stop on the nature of building it knowing its dimensions as well as the era of city through estimating it by foreigners or maps that had been drew by engineers through 19^{th} century , it also counted the number of big towers that can be considered castles , in addition to count small one to enhance the wall and strength it .

The research concentrated on the entrance of the city with its four gates (Al-Sultan, Al-Thufariya ,Al-Tulasam and klotha)These gates as usual ones open through the day and close at night.

The design of towers is different from others , the two doors (Al-wastany and Al-tulasam are circles whereas Al-Sultan door designed as square angles tower ,but Klotha one was precious.